أبو عبدالله الصغير
شوقان زيد علي عنتر

أبو عبدالله الصغير

(مسرحية)

بقلم :
نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٢م

رقم الإيداع لدى دار الكتب :

(٢٥٦)

الإهداء

إلى أمتي العربية و الإسلامية

الفصل الأول

المشهد الأول

(تفتح الستارة)

(و يظهر على الخشبة ديكور و أثاث و مجسم نافورة لقاعة جنة العريف بقصر الحمراء في غرناطة و يتصدرها كرسي العرش متربعا عليه أبو عبد الله الصغير سلطان غرناطة من بني الأحمر و من حوله الفقهاء و الأعيان و الوزراء و قادة الجيش ، و في أقصى يسار الخشبة يقف شخصان يبدو عليهما إنتمائهم لطبقة الأعيان أحدهما يدعى صالح و الآخر الوليد)

صالح : يا إلهي ! كل هذا العدد الغفير أتوا إلى القصر ؟! لأول مرة أرى هذا الحشد من البشر منذ عرس السلطان أبو الحسن بزوجته الإسبانية الثريا .

الوليد : و كأن غرناطة خلت من البشر ليأتوا عن بكرة أبيهم الى هنا ..... لكنك تدرك جيداً أن القصر يتسع لثلاثة أضعاف هذا العدد ، فلا داعي للقلق و ليستضيفوا من يشاؤون ، أليس كذلك ؟

صالح : نعم ، و هذا ما يثير مخاوفي أكثر .

الوليد : يثير مخاوفك ؟! مما ؟!!

صالح : هذه المظاهر الجادة و الإجتماع الحاشد و الجمع الغفير يوحي إلي بنذير شؤم .....

الوليد : إياك أن تقول أنهم سيعاودون الحرب ؟!!

صالح : هذا ما أراه أمامي ، عندما أرى إجتماعاً طارئا بهذه الطريقة فأعلم أنه يتعلق بالحرب .....

الوليد : كف عن هذه الأوهام المزعجة ، حرب و قتال ماذا ؟ هل جننت ؟!

صالح : جننت ؟!!

الوليد : أجل جننت ، لقد مرت ثلاثون عاما على حربنا الضروس ضد الإسبان و نحن لا نحصد منها سوى الخسارة في كل شيء .

صالح : و من قال لك أننا خسرنا ؟ نحن لم نخسر أمامهم أبداً .

الوليد : ماذا دهاك يا صالح ؟! هل أنت ثمل ؟!! لقد أهلكت هذه الحرب الحرث و النسل و لم يعد الناس هنا يجدون ما يقتاتون به و تقول بأنا لم نخسر أمامهم أبداً ؟ .....

صالح : هل سقطت غرناطة ؟

الوليد : يووووه ، أنا أتكلم معك في موضوع .....

صالح : سألتك سؤالا وجيها ، هل سقطت غرناطة بيد الإسبان ؟

الوليد : كلا ، مازالت صامدة في وجههم بقوة و ثبات .

صالح : ها أنت قلتها ، مازالت غرناطة شوكة صامدة مغروسة في حلقوهم النتنة و

تلقنهم الهزيمة تلو الهزيمة حتى هذه اللحظة رغم كل ما لديهم من قوة عسكرية هائلة تفوق ما لدينا من نظيرتها أضعاف مضاعفة .

الوليد : هه و ما الفائدة ؟ ..... لقد أخذوا منا كل سواحلنا و شواطئنا بمن فيها ملقا المنفذ البحري الوحيد الذي كان يتنفس إقتصادنا و تجارتنا منه و تعتمد غرناطة عليه إعتماداً كلياً ليقع بأيديهم و يخنقونا من عنقها و لم يبق سوى أن يعلنوا وفاتها السريري بكل تأكيد .

صالح : ماذا دهاك أيها الوليد ؟! أتستعجل سقوط المدينة التي ولدت و نشأت منذ نعومة أظفارك فيها بيد الإسبان الكفرة ؟

الوليد : أنا لا أقول سوى الحقيقة مهما كانت مرارتها ، قريباً سنرحل من هذه الأرض الى ديار المسلمين عاجلاً أم آجلاً .

صالح (يحتد في كلامه) : لا تكن سخيفا ! لن نرحل منها ، إن غرناطة مثل غيرها من مدن هي أرضنا و وطننا الحبينة الذي ولدنا فيها الأندلس ، أتعرف لماذا ؟

الوليد (بلا مبالاة) : لماذا ؟

صالح : لأن الأندلس بلاد عربية و مسلمة .

الوليد (يضحك) : أمازلت تصدق هذا الهراء ؟

صالح : هراء ؟!!! أتعتبر حقيقة أن الأندلس بلاد عربية و مسلمة محض هراء ؟ لقد توارثناها جيلاً بعد جيل .....

الوليد (يشير بسبابته نحوه) : ها أنت قلتها ، توارثناها جيلاً بعد جيل ، أي أننا لسنا السكان الأصليين للبلد (يربت عليه) ..... أنت تعرف و أنا أعرف بأن الإسبان الكفرة اللذين يرتكبون بحقنا المجازر و كافة أنواع الحصار ضدنا هم السكان الأصليين للأندلس .

صالح : ها ها ها ، يا للروعة ! صار الإسبان هم سكان البلاد الحقيقيين !!!

الوليد : لست من أقول ذلك ، بل هو التاريخ .

صالح : التاريخ ؟! ماذا تقصد ؟!

الوليد : أقصد أننا بحكم التاريخ نحن الغرباء و ليسوا هم (يقاطعه قبل أن يتكلم) مهما حاولت التبرير بإسم الدين أو العروبة أو حسن معاملتنا لهم فنحن في النهاية و من وجهة نظرهم مجرد غرباء زائرين أتينا لمساعدتهم في وقت من الأوقات ، أي أننا مجرد متغير و هم ثابت .

صالح : هه ، إذا كان ما تقوله صحيحاً و أننا متغير كما ذكرت فما الثابت لدينا في هذا الأرض ؟

الوليد : آثارنا و تجارتنا (يضحكان و هما يتخذان ركنا بعيدا في يسار الخشبة ، و يدخل الخشبة السلطان أبو عبد الله الصغير و معه قائد جيشه موسى بن أبي الغسان)

موسى : أرى مولاي مهموم البال حتى قبل أن يبدأ الإجتماع ...

أبـــو عبـــدالله : كيـــف لا أقلـــق و وضـــعنا لا يســـر عـــدواً أو حبيـــب ..... أتعـــرف فيمـــا سيدور الإجتماع ؟

موســـى : أظننـــا ســـنتناول موضـــوع الحصـــار الخـــانق للمدينـــة و شـــروط الإستســـلام المفروضة من قبل الإسبان في حال ما إذا قبلنا ....

أبـــو عبـــدالله : و هـــذه هـــي المشـــكلة ، لقـــد صـــرنا مثـــل المحشـــورين فـــي الزاويـــة ، و لاســـيما بعـــد أن قطعـــوا علينـــا منفـــذنا البحـــري الوحيـــد إلـــى العـــدوة الأقصـــى المغـــرب و التي كنا نستمد منها الدعم من مال و سلاح و عتاد .

موســـى : لكـــن يـــا مـــولاي لـــو أرســـلنا برســـالة الـــى ســـلطان بنـــي مـــرين ليقـــوم بهجـــوم مضـــاد و يحرروا موانئنا في مضيق جبل طارق و بالتالي يفكوا حصارنا .....

أبـــو عبـــدالله (يصـــعر خـــده تـــذمرا) : موســـى !! مـــاذا دهـــاك ؟!! أقـــول لـــك نحـــن بـــين فكـــي كماشـــة و تخبرنـــي بـــأن أرســـل رســـالة لســـلاطين بنـــي مـــرين ؟!!! ..... و حتـــى لـــو أرســـلنا إلـــيهم نطلـــب النجـــدة فهـــم مشـــغولون بخلافـــاتهم و حـــروبهم العائليـــة الـــدائرة رحاهـــا الآن بيـــنهم حـــول عـــرش الســـلطنة و تريـــدنا أن نطلـــب مســـاعدتهم ؟!!! كـــن منطقيـــا و لـــو لمـــرة واحدة .

عمـــار: و لأننـــي منطقـــي فأنـــا قائـــد عســـكري و أعـــرف أن مثـــل هـــذه المعـــارك تعـــد مناوشـــات بـــين فـــردين مـــن أفـــراد العائلـــة الســـلطانية و تـــدور حـــول منطقـــة القصـــر فقـــط و حسب المعلومات المتوفرة لدي فسوف يعقد قريباً صلحاً لإنهاء الأزمة برمتها ....

أبـــو عبـــدالله : حينمـــا ينتهـــي صـــراعهم المفتعـــل هـــذا نكـــون قـــد إلتهمنـــا الحـــوت الإســـباني

في جوفه الأرعن بين ليلة و ضحاها ، صحيح أم لا ؟

موسى : صحيح يا مولاي (يصعدا الى العرش و يجلس أبو عبدالله الصغير عليه و بجانبه الحاجب يأمره بتلاوة أوامره)

الحاجب : مولانا السلطان المعظم و أمير المؤمنين أبو عبدالله محمد بن علي الأحمر سلطان غرناطة (يتوقف الحضور عن الكلام و المناقشات الجانبية و يتجهون صوب العرش و يجلسون في كراسيهم المخصصة لهم)

أبو عبدالله (يجلس على العرش و موسى على كرسي قريب منه) : بسم الله الرحمن الرحيم ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين ، أما بعد ، قبل أن أبدأ الإجتماع أود شكركم جميعا لحضوركم إياه من كافة الطوائف و الفئات لجديته و أهميته الملحة بالنسبة لكم و لاسيما أنه يناقش مصير و مستقبل مدينتنا الحبيبة غرناطة و محاولات الإسبان إخضاعها لهم و لو بالقوة ، مما يبرهنان لنا أن الخوف على ضياع الوطن و الدفاع عنه حتى الموت ليس حكراً على الأسرة الحاكمة فحسب ، بل هي مسئولية جميع سكانها الغيورين على مصلحة وطنهم مهما كان الثمن .

مفتي السلطنة : العفو يا مولاي ، هذا واجبنا جميعا ، فغرناطة هي ما تبقى من أرضنا الحبيبة الأندلس التي سلبها أعدائنا منا .

صالح : يبدوا أن شيخنا يردد كلام أتباع التيار الأندلسي الذي أسسه إبن مردنيش .

مفتي السلطنة : هلا أفصحت عن مغزى كلامك يا صالح ؟

صـــالح : أقصـــد أن فضـــيلتك هـــذه الأيـــام خـــلال إجتماعاتـــك و خطبـــك التـــي تلقيهـــا مـــن علـــى منبـــر مســـجد الحمـــراء الكبيـــر و علـــى مســـمع مـــن ســـكان غرناطـــة أجمـــع أضـــحيت تـــدعو إلـــى وحـــدة التـــراب الأندلســـي لأننـــا بطبعنـــا أندلســـيون مهمـــا إختلفـــت مشـــاربنا رغـــم تتناســـى دائمـــا بـــأن الأنـــدلس أرض عربيـــة و إســـلامية منـــذ القـــدم و ســـكانها عـــرب أقحـــاح .....

الوليد : صالح ؟! ....

صـــالح : مـــاذا ؟!!! أنـــا لا أكـــذب فيمـــا قلتـــه (يؤشـــر بيـــده الـــى الحاضـــرين) إنهـــا الحقيقـــة الســـاطعة ســـطوع الشـــمس فـــي كبـــد الســـماء و التـــي يـــدركها كـــل مـــن حضـــر هـــذا الإجتمـــاع المـــوقر لـــدى مقـــامكم الســـامي يـــا مـــولاي الســـلطان أو حتـــى الـــذي لـــم يحضـــره مـــن سكان غرناطة ، أليس كذلك ؟ .....

عبـــدون : لـــيس صـــحيحاً يـــا صـــالح ، فلـــيس جـــل أهـــل الأنـــدلس مـــن العـــرب ..... أم تـــراك نســـيت أن غالبيـــة ســـكانها الآن هـــم مـــن البربـــر الـــذين يشـــكلون العمـــود الفقـــري لجيش السلطنة ؟ ....

صـــارم : هيـــه يـــا عبـــدون ، كيـــف تتعمـــد تجاهلنـــا بهـــذه الطريقـــة ، نحـــن نشـــكل معكـــم أيضـــاً غالبية السكان و لنا أهمية كبيرة في الجيش .

عبـــدون : أغلـــق فمـــك يـــا هـــذا ، أنـــتم أيهـــا الصـــقالبة لا شـــيء مـــن دوننـــا ، منـــذ أن إشتريناكم من أسواق النخاسة ، فأنتم في النهاية مجرد عبيد لنا .

صارم : إحفظ أدبك يا عبدون .

عبـــدون : أحفـــظ أدبـــي ؟!!! و تقولهـــا لـــي بكـــل وقاحـــة و صـــفاقة لســـان أيهـــا الحقيـــر ؟!!!!

عمـــار : يـــا جماعـــة عيـــب علـــيكم هـــذا الكـــلام ؟! و أمـــام مـــن ؟!! أمـــام مولانـــا الســـلطان ؟!!! ثـــم لـــو تحـــدثنا عـــن مـــن يشـــكل غالبيـــة الســـكان أو مـــا تبقـــى مـــن ســـكان الأنـــدلس فهـــم اليمنيـــون الـــذين فتحـــوا هـــذه الـــبلاد ليشـــرق عليهـــا نـــور الإســـلام المبـــين و ينتســـب إليهم مولانا السلطان المعظم و أمير المؤمنين أبو عبدالله الصغير .....

يزيـــد : تقصـــد أنـــه لولانـــا نحـــن لمـــا إســـتطعتم فـــتح شـــبر واحـــد مـــن أرض الأنـــدلس بتاتـــاً .....

عمـــار : أنـــتم أيهـــا القيســـيون لـــم يكـــن أي دور يـــذكر فـــي هـــذا الفـــتح لا مـــن قريـــب أو من بعيد .....

يزيـــد : بلـــى لنـــا دور ، فالخلافـــة الإســـلامية لاتـــزال بأيـــدينا ، و لولاهـــا لمـــا كـــان بإستطاعتكم حتى البقاء في أرضنا و ترابها الطاهر أيها الكاذبون .....

عمار (نهض غاضباً) : لقد تجاوزت حدودك يا يزيد .....

يزيد (بالمثل) : و أنت أيضاً يا عمار.....

أبـــو عبـــدالله (يصـــرخ) : صـــمتاً ! (يســـكتون) مـــاذا دهـــاكم يـــا قـــوم ؟!!! مـــا هـــذه التصـــرفات الســـخيفة التـــي ظهـــرتم بهـــا أمـــامي ؟!!! ألا تخجلـــوا مـــن أنفســـكم ؟!!! ألســـت ســـلطانكم المعظـــم أم مـــاذا ؟!!! (يســـكتون و يعتـــذرون) مـــاذا أصـــابكم ؟!!!

بلادنا على كف عفريت و أنتم تتشاجرون كالأطفال ؟!!! ماذا سيقول أعداءنا و نحن بهذا المنظر ؟!!! بالتأكيد سيفرحون أيما فرح و هم يرونا نتقاتل على توافه الأمور غافلين عن الخطر المحدق بنا جميعاً ، بل وصل بكم الأمر عدم إحترامكم لحضرة شيخنا مفتي السلطنة و مقاطعته دون حياء أو خجل (يتجه نحو مفتي السلطنة) أكمل ما بدأته يا شيخنا و سامحنا على ما بدر من قبل الحاضرين من إساءات لك ، لقد كان الذنب ذنبي .....

مفتي السلطنة : أستغفر الله يا مولاي ، لا تقل هذا ..... قبل أن أكمل ما بدأت أود أن أرد على ما قاله صالح بخصوص ما أعتبره تحيزاً لأتباع التيار الأندلسي الذين ينادون بأن الأندلس للأندلسيين بغض النظر عن إنتماءاتهم الدينية و العرقية فهو محق يا مولاي (تحدث جلبة بين الحاضرين فيفضها السلطان سريعا) نحن في أشد الحاجة الى الوحدة الوطنية فيما بيننا ، و آن الأوان يا أمير المؤمنين أن يلتف سكان غرناطة حول الولاء للأندلس عوضاً عن الولاءات الضيقة كالدين و العرق و القومية و الطائفة حتى لا نعطي الفرصة لعدونا ليشق وحدتنا و تدميرها كي يسهل الطريق أمامه لإحتلال غرناطة و ما جاورها من أراض و مدن بمنتهى اليسر ، لذا علينا أن نترفع عن هذه النعرات الفئوية ، فالوقت ليس في صالحنا حتى نتمسك بها الآن .....

موسى : فضيلة الشيخ محق يا مولاي ، فلقد آن الأوان لنوحد صفوفنا و نستنفر هممنا لمواجهة الخطر الداهم من قبل الإسبان و حلفائهم و لا وقت لهذه الولاءات الضيقة الآن .....

أبو عبدالله : على رسلك يا موسى ، دع شيخنا يكمل حديثه رجاءً .

موسى : أمرك يا مولاي .

مفتي السلطنة (يوجه نظره الى الحضور) : أنا أعرف أن ما سأقوله يعد إنتقاصاً من هويتكم الفئوية الحقيقية التي تربيتم عليها و توارثتموها أباً عن جد و أنا واحد منكم و لي ماضيي الخاص الذي أعتز به ، فهذه الولاءات مهما ضاق إطارها علينا فهي تعبر عن مكونات المجتمع الأندلسي و الغرناطي على وجه الخصوص و تنوعه الفريد ، لكن علينا في هذه اللحظة الحرجة أن نكبح جماحها الآن و بلا تأخير .....

الوليد : و هل كبح جماحها فينا سيجعل الإسبان يتركونا و شأننا الى غير رجعة ؟!

موسى : أيها الوليد ؟!! هذا ليس وقت السخرية و تخرج عن الموضوع ....

الوليد : أنا لا أسخر يا سيدي القائد ، بل إني في صلب الموضوع ، و كل ما في الأمر إني أقول ملاحظة مهمة متعلقة به ، الآن يا شيخنا تدعونا الى رص الصفوف و الوحدة الوطنية فيما بيننا ؟!! بعد ماذا ؟!! بعد خراب البصرة ؟!!!

موسى : صمتاً أيها الوليد ! ....

الوليد : و لماذا أصمت يا سيدي القائد ؟ هل قلت شيئا خاطئا لا سمح الله ؟

موسى : أجل ، عندما تشكك بقوة و متانة الوحدة الوطنية للأندلسيين عامة و أهل غرناطة خاصة و تعتبرها محض هراء فهذا الخطأ بعينه .

الوليد : إذا كان الوحدة الوطنية متينة جدا متانة البنيان المرصوص ، هلا فسرت لي يا سيدي القائد عدم حضور الحاخام يشوع بن ميمون و الأسقف تلافيرا بإعتبارهما ممثلين عن الأقليتين اليهودية و المسيحية إجتماعنا الموقر هذا ؟!!! (موسى لا يرد) لما صمت سيدي القائد ؟ لتعرفوا جميعا بأني محق فيما أقول ، و أننا لازلنا نتعصب لولاءاتنا العربية و الإسلامية الضيقة و التي لا تحترم مشاعر الفئات الأخرى بمن فيهم السكان الأصليين للأندلس ألا و هم الإسبان مسلمين كانوا أم مسيحيين أم يهود ....

عمار : و هل يعني أن الإسبان الذين تتعاون و تتواطأ معهم في أمور تجارتك هم أفضل معاملة لرعاياهم من أديان و أعراق أخرى و لاسيما العرب أيها الخائن ؟

الوليد : إحترم نفسك و حسن من ألفاظك معي يا عمار ، ما هكذا يكون الحوار بيننا ....

عمار : و هل أنت إحترمت شيخنا أساساً حتى تلقي علي هذا اللوم ؟!! ..... ثم أني لم أرتكب أي خطأ بحقك حتى تغضب مني كل هذا الغضب ، بل قلت الحقيقة الساطعة في كبد السماء عنك و التي ستظل شمساً قوية تفضحك أمام الملأ جميعا ....

الوليد : عمار ؟!!

أبو عبدالله (ينهض غاضباً مجددا) : قلت لكم صمتاً ! إلتزموا آداب الحديث العامة أمامي أيها السادة (يؤشر بسبابته بإتجاه الوليد و عمار) و أنتما إن كررتما

مثل هذا التصرف مجددا فسأضطر الى طردكما من الإجتماع أو أسجنكما دون أي إعتبار لمكانتكما الإعتبارية ، مفهوم ؟ (يومئان بالطاعة و يعتذران للسلطان)
أكمل حديثك يا شيخنا .

مفتي السلطنة : لا داعي يا مولاي ، أعطي الكلمة لأحد السادة الحاضرين فلقد إنتهيت من حديثي للتو .

أبو عبدالله : و لكنك لم تنه حديثك بعد و لم توضح شيئا مما قلته ؟!!

مفتي السلطنة : يا مولاي ، لا داعي للتوضيح ، فلقد قطع أخي الوليد بحديثه الخاطف قول كل خطيب و عبر بإختصار عما أردت البوح به ، و هذا كل ما في الأمر .

أبو عبدالله : حسنا يا شيخنا ، الكلمة لك يا شيخ طائفة النجارين عبدالقادر التجيبي ، تفضل (ما يلبث يقاطعه) عذرا يا شيخ عبدالقادر على المقاطعة ، أريد أن أنبه السادة أن الحاخام يشوع و الأسقف تلافيرا سوف يأتيان بعد قليل كما أخبرني الحاجب للتو ، لذا أرجوا منكم ألا تسمعوا كثيراً للشائعات المغرضة و تنجروا وراءها دون تمحيص لها (موجها نظره الى الوليد) هل فهمت يا وليد أم تريد أن أشرح لك أكثر ؟

الوليد (بخجل) : فهمت يا مولاي ، أنا آسف .

أبو عبدالله : قبلنا إعتذارك ، الكلمة لك يا شيخ عبدالقادر .

شيخ عبدالقادر : شكراً جزيلاً يا مولاي (ينهض ليخطب) أستهل كلامي ببسم الله الرحمن الرحيم ، في البداية إستمعت الى كلام من سبقوني و الذين أكن الود و التقدير و الإعجاب لما طرحوه من مواضيع مهمة تمس هموم الناس هنا في غرناطة و إن كانت أتت متأخرة بعض الشيء كالوحدة الوطنية بين أبناء البلد الواحد بغض النظر عن دينه و ملته و عرقه و الحفاظ على الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية للشعب الأندلسي و سكان غرناطة تحديداً ، و لكن دون أن يناقشوا المشكلة الأساسية التي يعانيها الأندلسيين و الإسبان على حد سواء ألا و هو الوضع الإقتصادي المتردي الذي يعاني منه كلا الطرفين ....

أبو عبدالله : عفوا يا شيخ عبدالقادر ، ماذا تعني بهذا ؟ هلا أوضحت لنا الأمر رجاءً ؟!

شيخ عبدالقادر : أعني يا مولاي أن حالة الناس المعيشية هنا ساءت كثيراً لدى طرفي الحرب و لاسيما عندنا حيث لم يعد الناس يجدون قوت يومهم جراء إرتفاع الأسعار الحاد و الناتج عن إحتكار بعض التجار الذين لا داعي لذكر أسمائهم أمام جلالتكم للمواد و السلع الضرورية بسبب إنعدامها و غيرها من المواد و البضائع الأساسية كما هو حالنا نحن طائفة النجارين حيث أصبح الخشب معدوم و يباع في السوق السوداء بأسعار خيالية و كل هذا بسبب الحصار الخانق الذي يضربه الأعداء علينا براً و بحراً .

أبو عبدالله : هذا بالنسبة لنا ، فماذا عن الإسبان ؟

شيخ عبدالقادر : الإسبان تعاني حكومتهم من عجز واضح في الميزانية بسبب الديون المتراكمة عليهم و فوائدها الهائلة التي أثقلت كاهلها و عدم الإيفاء بسدادها البتة لبابوية الفاتيكان و حلفائها رغم محاولاتها المستميتة من أجل ذلك عبر إقتطاعها ٩٠% من ميزانيتها الرسمية و على حساب حاجات الناس الضرورية من مأكل و مشرب و ملبس حيث يعانون حتى تلك اللحظة من إرتفاع خيالي للأسعار و تفشي ظاهرة الإحتكار مثلنا تماما ، و ما زاد على ذلك إندلاع الثورات و التمردات داخل الأوساط الفقيرة هناك و الحركات و الإنقلابات العسكرية التي يقوم بها النبلاء و القادة العسكريين ضد الملكين فيرناندو و إيزابيلا إحتجاجاً على فرضهما المزيد من الضرائب الباهظة عليهم لتسديد ديون بابوية الفاتيكان و الدول المنضوية تحت لوائها و كل هذا بسبب الحرب الطاحنة الآن و التي اكلت الأخضر و اليابس و لم تبق على حجر أو شجر .

أبو عبدالله : كلامك معقول و مقنع يا شيخ عبدالقادر ، و هذا إن دل فإنه يدل على معرفتك و إطلاعك الواسع بعدوك جيداً .

شيخ عبدالقادر : شكرا يا مولاي .

أبو عبدالله : و برأييك يا شيخ عبدالقادر ، ما هي إقتراحاتك لحل هذه المشكلة ؟

شيخ عبدالقادر : أرى يا مولاي أن نرسل وفداً منا يتفاوض مع قادتهم لعقد هدنة طويلة الحد الأدنى منها ثلاثة أشهر و أقصاها سنة حتى يلتقط كل طرف منا أنفاسه من متاعب الحرب و خلالها نبدأ بمفاوضات ترسيم الحدود بيننا لتكون مقدمة

لتوقيع إتفاقية حسن الجوار دولتنا و الإسبان .

موسى : لما لم تقلها منذ البداية يا شيخ عبدالقادر بأنك تريدنا أن نستسلم لهم ؟ أهذا ما تريده ؟

شيخ عبدالقادر : سيدي القائد ، هناك فرق بين الإستسلام و السعي نحو صلح أو إتفاق سلام يحافظ على إستقلال ما تبقى من أرض الأندلس سياسياً و عسكرياً ، سيما و أن الملك فيرناندو عرض علينا توقيع إتفاقية حدود بين بلدينا قبل سنتين .....

موسى : شريطة ألا نتدخل في شئون دولتهم و نساعد إخواننا الأندلسيين الواقعين تحت نيرهم و جبروتهم ، أليس كذلك ؟

أبو عبدالله : موسى ما بك ؟! لما أنت متحامل على الرجل هكذا ؟!!! دعه يكمل وجهة نظره لنا ؟!!!! .....

موسى : يا مولاي ، إنه يدعونا الى التفاوض مع الكفار و القبول بشروطهم المجحفة بحقنا و التي لا ينفع معها سوى رفع السيف في وجوههم و ساعتها نحقق الإنتصار الكبير ضدهم .

أبو عبدالله : تقصد الفناء الكبير للأندلسيين أجمع ؟! لا تكن سخيفاً يا موسى و دع الرجل يكمل إقتراحه أولا ثم نرى رأينا فيه ، أكمل يا شيخ عبدالقادر .

شيخ عبدالقادر : خلال الفترة الممتدة ما بين زمن الهدنة و توقيع إتفاقية الحدود

سيخفف الطرف الإسباني من قبضة الحصار الذي يفرضه علينا و يسمح بدخول العديد من البضائع بكمية كبيرة و من بينها الأسلحة المندسة داخل أكياس القطن و القماش كما كنا نعمل في السابق قبل فترة الحصار المذكورة آنفا و بهذا يستطيع جيشنا الإستفادة من ذلك ، إضافة إلى ستؤدي إلى إنخفاض أسعار السلع الضرورية مع توافره بكثرة في أسواقنا المحلية مما يحد من سطوة الإحتكار لدى بعض التجار و يجعل الإسبان يشترونها منا بأرخص الأثمان فيصرفوا نظرهم عن البضائع الباهظة الثمن القادمة من فرنسا و إيطاليا ، و أنت تعرف يا مولاي أنهم يفضلون بضائعنا على بضائعهم و هذا سيجعلهم يعيدوا النظر في عدائهم لنا و يخففون من حدته نحونا ، و بالمقابل نسعى إلى الرد عليهم بالمثل دون أن ننسى إحتياطاتنا في تجهيز دفاعاتنا العسكرية في مواجهة أي خطر مستقبلي داهم .

موسى : شيخ عبدالقادر ، تتحدث عن المفاوضات السريعة مع الإسبان و كأنك ضامن موافقتهم مسبقا ، و أنت تعلم بأنهم يفعلون ذلك بأمر من دينهم و لن يردعهم رادع في القضاء علينا حتى و لو رشوناهم بجبال من الذهب .....

شيخ عبدالقادر : يا سيدي القائد إبن عمار وزير المعتمد بن عباد من أجل أن ينقذ إشبيلية رشى ملكهم الفونس برقعة شطرنج جديدة لا مثيل لها من صنع المدينة فوافق على الإنسحاب و عدم التعرض لها بتاتاً (و تطفأ أنوار المسرح للحظة بإستثناء دائرة ضوئية تظهر إبن عمار يتفاوض مع الفونس الثامن حول إشبيلية و هما يلعبان الشطرنج) ، كما أن يوسف بن تاشفين قرر ألا يستولي على دولة الهوديين و قصبتهم سرقسطة بعدما دفع له ملكها أحمد نصف خزينتها من الذهب

على الرغم من أنه أقام تحالفاً وثيقاً مع الإسبان لينجو من نفس المصير المحتوم الذي أصاب أقرانه من ملوك الطوائف (تطفأ الأنوار مجدداً و تظهر دائرة ضوئية و فيهما يوسف بن تاشفين و أحمد بن سليمان الهودي و هما يتصافحان على الصلح) .

موسى : و هل لأن هذان الرجلان تصرفا على هذا النحو نسير على نهجهما المذل ؟ أهذا ما تريده يا شيخ عبدالقادر ؟! .....

أبو عبدالله : حسبك يا موسى ، دع الشيخ يكمل كلامه و يوضح مغزى ما يقصده .....

موسى : يا مولاي ، كلامه واضح منذ البداية ، إنه يدعونا الى الإستسلام متعذرا بحجج واهية كمصلحة الناس و فك الحصار عنهم و الأزمة التي يعانيها عدونا الإسباني و هذا غير صحيح ، فهم لا يعانون من أي أزمة إقتصادية البتة كما يزعم حضرته بل هم صاروا هذه الأيام أقوى من ذي قبل ، عيوننا يؤكدون ذلك .

أبو عبدالله : موسى ، لست تاجراً حتى تحكم ما إذا كان إقتصادهم أقوى من إقتصادنا أم لا ، فلا تنخدع بمظاهر القوة العسكرية التي يظهرونها علينا كذباً ، و الدليل على ذلك إنتصارنا عليهم أمام أسوار باب الخضراء الأسبوع الماضي ، أليس كذلك ؟ (يهز رأسه موافقا و خجلا أشد الخجل)

شيخ عبدالقادر : يا مولاي ، أنا من أنصار المقاومة و لست ضدها ، و لكن يجب أن نكون واقعيين و نستفيد من الخيارات المطروحة أمامنا و التي تجنبنا ويلات

الحرب المدمرة و تضمن الإنتصار الكامل لنا .....

أبو عبدالله : لا عليك يا شيخ عبدالقادر أنت لديك وجهة نظر سليمة في تلك النقطة ، لكن أعذر تحفظ قائد جيشنا على كلامك ، فهو لا يزال يؤمن بالخيار العسكري لحسم المعركة معتبرا إياه السبيل الوحيدة لتحقيق النصر ضد الأعداء و تحرير الأندلس في غمضة عين و بتأييد من الله العزيز القدير ، و قد نسي أن زمن المعجزات قد ولى ، تفضل (يدخل الى الخشبة الحاجب متجها نحو أبو عبدالله هامساً في أذنه) دعهما يدخلان .

الحاجب : أمرك يا مولاي (ينزل من كرسيه متجها الى خارج الخشبة مناديا) تفضلا يا حضرتا الحاخام يشوع و الأسقف تلافيرا ، مولاي السلطان في إنتظاركم (فيدخل الحاخام و الأسقف فينهض السلطان لإستقبالهما) .

أبو عبدالله : أهلا بالحاخام يشوع و الأسقف تلافيرا ، تفضلا بالجلوس (يجلسا في مكانهما) .

الحاخام يشوع : شكراً يا مولاي السلطان .

الأسقف تلافيرا : لقد أخجلتهم تواضعنا يا مولاي .

أبو عبدالله : لا عليكما أيها الحبران الجليلان أنتما تستحقان أكثر من هذا لما قدمتماه لبلدنا الأندلس و عاصمته غرناطة (يشير الى الشيخ عبدالقادر) أكمل يا شيخ عبدالقادر .

الأسقف و الحاخام : أهلا يا شيخ عبدالقادر .

شيخ عبدالقادر : أهلا بكما ، جيد أنكما أتيتما إلى هنا .

أبو عبدالله (مستغرباً) : ما الحكاية يا شيخ عبدالقادر ؟! أرى أنك كنت على علم بمجيئهما للتو ، هل طلبت منهما الحضور على وجه السرعة إلى هنا أم ماذا ؟!!

شيخ عبدالقادر : هذا ما كنت أريد قوله يا مولاي ، فقد إتفقت مع الأسقف تلافيرا و الحاخام يشوع أن يكونا ممثلين عن مدينتنا لعرض إقتراحنا بالصلح المؤقت السالف الذكر و لاسيما أن كليهما أقدر في التعامل مع الإسبان بسبب صداقات قديمة تجمع تلافيرا بالكاردينال خيمينيس رئيس كنيسة قشتالة (فتثار ضجة إستنكار و إستغراب من قبل الحاضرين على هذا الإقتراح) .

أبو عبدالله (يصرخ) : الصمت أيها السادة رجاءً (يتجه ببصره ناحية الأسقف تلافيرا) ما رأيك فيما قاله الشيخ عبدالقادر ؟ هل هو صحيح ؟

الأسقف تلافيرا : صحيح ، فقد إتفقنا أنا و هو و الحاخام يشوع على تشكيل وفد من المدينة من أجل مقترحاتنا الساعية الى إرساء الصلح مع الإسبان .

أبو عبدالله : و أنت يا حاخام يشوع ؟

الحاخام يشوع : أتفق مع زميلي الأسقف فيما أضافه من معلومات بأننا سوف نتمسك بمطالبنا المشروعة فيما يتعلق بإنسحاب القوات الإسبانية من محيط المدينة و الغاء الحصار البحري الجائر ضدنا .....

موسى : مقابل ماذا يا حضرة الحاخام ؟

الحاخام يشوع : مقابل إتفاقية الشراكة الإقتصادية و السياسية المتمثلة بحسن الجوار معهم .....

أبو عبدالله : عفوا منك يا حضرة الحاخام ! الأخيرتان لم أستوعبهما جيداً !!! ... شيخ عبدالقادر ! لم تذكر لي شيئا عنهما البتة في معرض حديثك معنا !.....

شيخ عبدالقادر (متلعثما قليلا) : للأن هذه يا مولاي ، احمممم ، هي بقية إقتراحي و تركت كليهما يكملانه نيابة عني .....

أبو عبدالله : و مع ذلك لم أفهم مقصدك من هذا ؟!! هلا أفصحت رجاءً ؟!!!

شيخ عبدالقادر : أنا .....

موسى : أنا أقول لك يا مولاي .

أبو عبدالله : موسى ، إذا كان هدفك التهجم عليه و بأقذع الألفاظ ، فلا داعي لأن تتحدث ....

موسى : لا أبداً يا مولاي ، كل ما أريده أن أوضح الالتباس الذي وقعت فيه فحسب ، لا أكثر و لا أقل (أشار أبو عبدالله بيده بالحديث) يا مولاي إن الشيخ عبدالقادر و الأسقف تلافيرا و الحاخام يشوع يقصدون بهذا الإقتراح و لا سيما الشراكة الإقتصادية و السياسية و حسن الجوار بأن نقيم إتفاقية سلام بيننا و الإسبان تنهي الحرب المستعرة الآن مقابل أن نعترف بدولتهم التي قامت على

أشـــلاء وطننـــا الأنـــدلس و أبنائـــه و أملاكهـــم و أن نتخلـــى عـــن مطالبنـــا بتحريـــر الأراضـــي الأندلســـية مـــن ربقـــتهم و إحـــتلالهم الغاشـــم ، إضـــافة الـــى إعـــلان تبعيتنـــا لهـــم إقتصـــادياً و سياســـياً بحيـــث نخضـــع لنفـــوذهم بـــدلاً مـــن إحـــتلالهم لغرناطـــة و التـــي ستســـتقبل مئـــات اللاجئـــين مـــن إخواننـــا الأندلســـيين المطـــرودين مـــن أراضـــيهم بـــالقوة الجبريـــة (و ينـــزل مـــن العـــرش نحـــو الحاضـــرين صـــارخا) بمعنـــى آخـــر ، الشـــيخ عبـــدالقادر يريـــدنا أن نعلـــن خيانتنـــا للإســـبان بطريقـــة شـــرعية تجعلنـــا لا نجـــرؤ علـــى التشـــكيك بهـــا أو حتـــى مقاومـــة الخونة أمثاله و رفاقه المسيحيين و اليهود (مشيرا بيده نحو تلافيرا و يشوع)

شـــيخ عبـــدالقادر (يـــنهض غاضـــباً) : أنـــا لا أســـمح لـــك يـــا هـــذا (فيتشـــاجر مـــع موســـى بـــن أبـــي غســـان فتنـــدلع مشـــاجرات بـــين الحاضـــرين ، فيـــنهض أبـــو عبـــدالله يصـــرخ عبثـــاً فـــيهم دون جدوى)

(تنزل الستارة)

المشهد الثاني

(تفتح الستارة)

(يظهر على خشبة المسرح ديكور لجناح السلطان أبو عبدالله الخاص على الطراز الأندلسي الغرناطي و هو ممتد على سريره متأملا شارد الذهن يسرح بفكره الى الأفق البعيد ، و بعد ثواني تدخل زوجته عاتكة إلى الخشبة فتراه على هذا الحال)

عاتكة (تلمس شعره بهدوء) : ما يشغل بالك يا حبيبي ؟

أبو عبدالله : لا شيء يا عزيزتي ، لا تشغلي بالك .

عاتكة : أله علاقة بما حدث البارحة ؟ .....

أبو عبدالله : عاتكة ! إذا كنت تحبيني فلا تذكريني بهذا الموضوع نهائيا (يقبل جبهتها و يحتضنها) ممكن ؟

عاتكة : كما تريد يا عزيزي ، أنا يهمني راحتك بالأساس .

أبو عبدالله (يقبل جبهتها مجدداً) : أنا أعرف ذلك يا عزيزتي ، فلولاك لما إستطعت تحمل كل هذه المشاكل (فيحتضنها بشدة قبل أن تدخل عليهم والدته السلطانة عائشة خلسة فتنهض عاتكة مذعورة عند رؤيتها ، أما أبو عبدالله فينهض ببطء مدهوشاً أمامها و هي تصرخ) .

عائشة : ما شاء الله ، ما شاء الله ، تترك الأمور في البلد مقلوبة و مشتعلة و

يتهددها الخطر من كل مكان و أنت تلهو مع زوجك ؟!!!

أبو عبدالله : أمي .....

عائشة : و لا كلمة ! أما أنت فإنصرفي من أمامي قبل أن أصب جام غضبي عليك (تصرخ بعينين جاحظتين) لما أنت واقفة ، هيا أغربي عن وجهي (فتذهب عاتكة من أمامها خائفة و باكية و تخرج من الخشبة بسرعة) .

أبو عبدالله (ينظر الى أمه بغضب) : ما هذا الذي فعلته بحق السماء يا أمي ؟ لقد جرحت مشاعرها ، و من أجل ماذا ؟ من أجل أوهام في رأسك ؟

عائشة : أتسمي الخوف على مصلحة وطنك و عرشك مجرد أوهام في رأسي ؟!!

أبو عبدالله : أجل أوهام في رأسك لأنك بالأساس لا تفكرين سوى بمصلحتك فقط .

عائشة : أنا ؟!!!!

أبو عبدالله : أجل أوهام في رأسك ، أما كفاك أنك جعلتني أتحالف مع الإسبان رغما عني من أجل أن يجلسني على عرش السلطنة ؟ و مقابل ماذا ؟!! مقابل أن أسمح لقواتهم بالمرور من أراضي بلدي ليتمكنوا من ملاحقة منافسي عليه عمي الزغل بموجب إتفاقيات مخجلة أنت كنت وراءها ؟!! .....

عائشة (تصفعه) : أصمت .

أبو عبدالله : تصفعينني ؟!!!

عائشة : و أكسر عنقك أيضاً أيها العاق .

أبو عبدالله : ألهذا الحد تكرهينني لمجرد أنني أخبرتك بالحقيقة المرة التي تتهربين منها ؟ .....

عائشة : بل لأنك ناكر للجميل ، فمن أجلك أتحالف حتى مع الشيطان ، من أجل أن تتربع عرش السلطنة أتعاون مع الأعداء ، فأنت ولدي و فلذة كبدي .....

أبو عبدالله (يصرخ) : كفي عن الكذب (صمتت أمه) تقولين بأني ناكر للجميل ؟ و أنك فعلت ما ذكرته مسبقا من أجلي ؟ و هذا غير صحيح ، بل كراهية في زوجة أبي الثانية الثريا و ولدها الرضيع ، و إلا كيف تفسرين سكوتك على قتل والدي لشقيقي الأكبر عقاباً له على تمرده عليه من أجلك لحظة زواجه من تلك المرأة ، هيه ؟ (تستمر بالسكوت) أجيبي إن كان لسانك قادر على الحديث ؟

عائشة : أنا لم أقف وراء مقتل أخيك الأكبر عمر .....

أبو عبدالله : بلى فعلت !

عائشة (تصرخ مستغربة) : ويحك ؟! كيف تجرؤ على إتهامي إتهاما خطيرا كهذا ؟!! .....

أبو عبدالله : لأنها الحقيقة .

عائشة (زاد إستغرابها) : حقيقة ؟! أية حقيقة ؟!!

أبو عبدالله (يدور حولها غاضباً) : الحقيقة التي تقول بأنك وراء مقتله لأنه أيد

زواج أبي من تلك الفتاة الإسبانية إيزابيلا أو الثريا بعد إسلامها التي أصبحت خالتي بحكم العرف (مشيرا بيده) كما إنه سعى مثلما زعم جواسيسك المخلصين من تجار غرناطة المتقلبي المصالح كالشيخ عبدالقادر و الشيخ زيري الى تحريضه ضدك بتقييد حركتك و نفوذك و سعيك للتحكم بعرش السلطنة و لو من خلف حجاب ، لذا خططت لقتله لأخلفه في منصب ولاية العهد و من ثم أثب على العرش و أخلع والدي منه لأصبح عوضاً عنه سلطانا دمية تلعبين به كيفما شئت .

عائشة (تصفق بسخرية) : رائع ، يا له من كلام رائع ، و ممن ؟! من ولد جاحد ناكر للجميل مثلك ؟! (تشير بغضب) ألهذا الدرجة تكرهني الى حد أنك نسيت ما فعلته من أجلك و أخيك عمر الذي الآن تتهمني زورا و بهتانا بقتله ؟!!! و أنت تعلم أنني أم ؟ و الأم لا تقتل أولادها من أجل أطماعها الشخصية الضيقة ، لأنها بذلك تصبح عدوة نفسها .....

أبو عبدالله : لكنك قتلته بالفعل من أجل العرش ، و من قبلك الخيزران فعلت نفس الشيء بإبنها الخليفة موسى الهادي و زبيدة بإبنها الخليفة محمد الأمين و السيدة صبح بإبنها الخليفة هشام المؤيد ..... و كل هذا من أجل العرش .

عائشة : إنهن نمط شاذ من النساء لا يعتبرن معياراً أساسياً للأمومة الصالحة التي تغمر معظم بنات حواء .....

أبو عبدالله : و أنت من الصنف الأول يا أمي ، من الصنف الشاذ !

عائشة : عجيب أمرك يا بني ؟!! كلما أحاول أن أشرح لك موقفي من الموضوع

تقــوم بتعنيفــي و جرحــي بأقــذع الألفــاظ التــي لا يوجههــا ولــد لأمــه ، أفصــح عمــا تريــد البــوح بــه ، ألمجــرد أنــك تتهمنــي بــالطمع و الــتعطش للســلطة تقــول هــذا ؟!!! بــل و الأنكــا مــن ذلــك تتهمنــي زوراً و بهتانــاً بإرتكــابي جريمــة قتــل شــقيقك الأكبــر عمــر مــع سبق الإصرار أو الترصد ، و كل هذا في الأساس محض كذب في كذب ....

أبــو عبــدالله : أنــا لا أكــذب ! بــل هــي الحقيقــة الســاطعة فــي كبــد الســماء المعتمــة التــي تحاولين عبثا إنكارها .....

عائشــة : أيــة حقيقــة تلــك يــا هــذا ؟!!! أمازلــت مصــرا علــى هرائــك ذاك ؟!!! ..... حســنا ، لنســلم جــدلاً بــأن مــا قلتــه بصــددي صــحيح و كمــا تــزعم ، ألــيس مــن حقــي أن أنــتقم ممــن آذونــي و جرحــوا كرامتــي و أســقوني المــر فــي حيــاتي كوالــدك الــذي غــدر بــي و خــانني ؟ و مــن أجــل مــاذا ؟ مــن أجــل فتــاة مســيحية بعمــر إبنتــه و تنتمــي الــى أعــدائنا الإســبان ؟ و فــوق كــل هــذا يتزوجهــا دون أي إحتــرام لمشــاعري ، أنــا زوجتــه و إبنــة عمــه التــي تزوجتــه مــذ كنــت طفلــة و أحببتــه حــب العبــادة ؟!!! ..... و مــا حــز فــي قلبــي أكثــر هــو تأييــد أخيــك عمــر و عمــك الزغــل لــذلك الــزواج كــي يضــمنا لنفســيهما الســلطة و إســتيلائهما للعــرش و حتــى يقصــوك مــن الجلــوس عليــه و لاســيما أن زوجــة أبيــك ضــعيفة و لا تشكل أي خطر أو تهديد يذكر عليهم .....

أبــو عبــدالله : و مــن أجــل إنتقامــك و غيرتــك الســخيفتين تلــك ؟! تقــدمين علــى التعــاون مع الإسبان ضد أبي ؟!! .....

عائشة : هذا ليس من شأنك .....

أبو عبدالله : بل هو من شأني ، فأنا سلطان غرناطة و أمير المؤمنين فيها ....

عائشة (بسخرية) : أمير المؤمنين مرة واحدة ؟!!! ... هه ، و على ماذا ؟!!! على مدينة صغيرة مغروسة وسط تلال جبال البشارات و وادي آش بين فكي الأسد الإسباني الذي لا تستطيع الإفلات من أنيابه الحادة حتى ؟!!! يا لك من شاب مرح كثير الهزل .....

أبو عبدالله : لا أسمح لك بذلك الهجاء ....

عائشة : لم أعد آبه لردة فعلك هذه (فيحتدم النقاش و الشجار بينهما لدقيقة قبيل دخول مهجة – وصيفة السلطانة عاتكة الى خشبة المسرح خائفة مرعوبة باكية متجهة نحو أبو عبدالله)

مهجة : مولاي ، مولاي ؟!!

أبو عبدالله : ما خطبك يا إمراة حتى تدخلي على جناحي بهذه الطريقة السخيفة البعيدة عن قواعد الأدب و السلوك ؟!!

مهجة : العفو منك يا مولاي ، و لكن مولاتي عاتكة سقطت على الأرض مغشياً عليها فجأة من شدة الحمى (تبكي)

أبو عبدالله : مماذا ؟ !! مرريضة ببسبب الحمى ؟!!

مهجة : أجل يا مولاي ؟!! (تبكي مجدداً)

أبو عبدالله (يصرخ) : عاتكة ة ة ة (يخرج من الخشبة ، فتلحق والدته

السلطانة عائشة و معها مهجة به ليخرجا أيضاً من الخشبة في حالة من الحزن العارم تصاحبهما موسيقى أندلسية حزينة)

(تنزل الستارة)

المشهد الثالث

(تفتح الستارة)

(و يظهر على الخشبة حائط خشبي يقسمها الى قسمين ، أحدهما يمثل ديكور لبلاط جنة العريف في قصر الحمراء و يظهر فيه أبو عبدالله الصغير و معه الحاجب و الآخر يظهر فيه الخيمة الملكية المرافقة للجيش الإسباني و بداخلها الملك فيرناندو و زوجته الملكة إيزابيلا مجروحة في ركبتها بسبب سهم أطلقه عليها أبو عبدالله الصغير خلال معركة باب الخضراء الأخيرة مستلقية على سريرها تتوجع من الألم ، فتضأ أنوار المسرح في القسم الذي فيه السلطان أبو عبدالله الصغير و تطفأ في القسم التي فيها الملك فيرناندو)

الحاجب (ينظر الى سلطانه يجلس على العرش مهموما فيقترب منه) : مولاي السلطان ، مولاي السلطان .

أبو عبدالله (يفيق من يقظته) : هه ، هل قلت شيئا أيها الحاجب ؟

الحاجب : كلا يا مولاي ، جئت لأطمئن عليك فحسب ، أهناك شيء سيئ لجلالتك حدث لا سمح الله ؟!

أبو عبدالله : بلى ، إنها السلطانة عاتكة مريضة بالحمى الشديدة .

الحاجب (إندهش فزعا) : مولاتي ؟!! منذ متى ؟!!!

أبو عبدالله (ينهض من عرشه) : منذ أسبوع ، و الحمى مكانها لم تخف وطأتها

عليها البتة .

الحاجب : شفاها الله و عفاها .

أبو عبدالله : آمين يا رب العالمين ..... أيها الحاجب .

الحاجب : لبيك يا مولاي السلطان .

أبو عبدالله (رابتاً على كتفه) : إستدعي قائدنا موسى بن أبي غسان الى هنا أريده في أمر عاجل (يوقفه قبل أن يذهب) إسمع أريدك أن تستدعيه في منتهى السرية و أن يأتي الى هنا في وجه السرعة ، مفهوم ؟

الحاجب : مفهوم يا مولاي السلطان .

أبو عبدالله : هيا أسرع (فينطلق الحاجب سريعا و يخرج من الخشبة ، و في نفس الوقت تطفأ الأنوار في قصر السلطان و تضأ في القسم الآخر من الخشبة حيث لا تزال الملكة إيزابيلا تتألم من شدة الألم و بجانبها الملك فيرناندو يداويها)

إيزابيلا : آه يا ركبتي آه .

فيرناندو : إهدائي يا عزيزتي ، دعيني أعالج الجرح ، لذا تحملي قليلا .....

إيزابيلا : إبتعد عني ، لا أريد معالجتك ... آه ، آه .

فيرناندو : يجب أن أضع هذا المرهم على موضع الجرح في ركبتك حتى يلتئم يا عزيزتي (يضع المرهم على مكان الجرح)

إيزابيلا (تصرخ) : آه ، آه ، إنك تؤلمني !!!

فيرناندو : لا عليك ، لقد إنتهيت من مداواة جرحك ، فإطمئني .

إيزابيلا : و ما الفائدة ؟ و جرحي لازال ينزف حتى هذه اللحظة ؟!!

فيرناندو : و لكني عالجته للتو ! .....

إيزابيلا : ماذا دهاك يا فيرناندو ؟! ألا تفهم ؟!!! أنا لا أقصد هذا (تشير على الجرح في ركبتها صارخة فيه) إنما أعني جرحنا الكبير .....

فيرناندو : إيزابيلا (ينهض من عندها) هذا ليس وقته الآن يا عزيزتي .....

إيزابيلا : إذن ، متى وقته الآن ؟ و نحن نتعرض للهزائم الواحدة تلو الأخرى أمام مدينة صغيرة حقيرة كغرناطة هذه .....

فيرناندو : إنها ليست مدينة حقيرة يا عزيزتي ، إنها أكبر مدن ما تبقى من بلاد الأندلس قاطبة ، ثم أنت لا تعرفين الوضع الراهن هناك جيداً ، لذا رجاءً لا تفتحي هذا الموضوع ثانية .....

إيزابيلا : ماذا تقصد بأني لا أعرف الوضع الراهن هناك ؟! ألست زوجتك و شريكتك في الحكم الثنائي الذي يجمع مملكتينا أراغون و قشتالة و قيادة الجيش و لاسيما ضد هؤلاء الأندلسيين و تقول لا أعرف شيئا ؟! ....

فيرناندو : أجل لا تعرفين شيئا من خبايا هذه الحرب ! أنت صحيح شريكتي في الملك و قيادة الجيش أيضاً ..... لكنك لا تجيدين القتال و لا تفقهين شيئا في

قيادة الجيوش و الدليل هذا (يشير الى الجرح في ركبتها) .

إيـــزابيلا : لكنـــك نســـيت أنـــي ملكـــة علـــى أكبـــر ممالـــك إســـبانيا المســـيحية الشـــمالية و قائدة أقوى جيوشها .....

فيرنانـــدو : بفضـــلي يـــا صـــاحبة الجلالـــة بفضـــلي (مشـــير الـــى أعلـــى الخشـــبة) مملكتـــك أصـــبحت أقـــوى و أكبـــر مملكـــة فـــي إســـبانيا بفضـــلي و بفضـــل قـــوتي و حنكتـــي السياســـية و العسكرية ، أفهمت ؟

إيـــزابيلا : بفضـــلك أنـــت ؟ أتعـــايرني بـــأنني لـــيس لـــدي أيـــة خبـــرة أو حنكـــة سياســـية أو عســـكرية لأننـــي كنـــت أتـــرك لـــك مهمـــة قمـــع خصـــومي مـــن النـــبلاء فـــي قشـــتالة الـــذين لـــم أكـــن أعـــرف كيـــف أقضـــي علـــيهم بســـبب رفـــض أخـــي الراحـــل الملـــك هنـــري الراغـــب أن أشـــاركه فـــي حكـــم المملكـــة لمجـــرد أنـــي لـــم أكـــن أفقـــه شـــيئا منـــه ؟ ألـــم أصـــبح زوجتـــك بعـــدما أخـــذتني مـــن قصـــر أبـــي عنـــوة إلـــى بلـــدك أراغـــون أخـــذ جاريـــة أســـيرة جليبـــة إشـــتريتها من سوق النخاسة بمالك ؟ (يوجم قليلا) ما لي أراك صامتاً ، تكلم ؟

فيرناندو : عزيزتي ، أنا لم أقصد ما قلته .....

إيـــزابيلا (تصـــرخ باكيـــة) : مـــاذا تقصـــد إذن ؟! لقـــد تحملـــت تجاهلـــك لـــي فيمـــا يتعلـــق بحـــرب الإســـترداد ضـــد هـــؤلاء العـــرب مـــع العلـــم أن لـــولاي لمـــا إســـتطعت أن تحصـــل علـــى دعـــم البابـــا فـــي رومـــا و الـــدول المنضـــوية تحـــت لوائـــه الكامـــل لنـــا فـــي هـــذه الحـــرب .....

فيرنانـــدو (يمســـك بوجههـــا بكلتـــا يديـــه ماســـحاً دموعهـــا الغزيـــرة) : و لـــولاك أيضـــاً لمـــا

إستطعت الحصول على دعم الإمبراطورية الرومانية المقدسة لنا بزواج ماكسمليان الأول من إبنتنا جوانا ، أعرف أن لديك علاقات خارجية قوية مع جميع الدول الكاثوليكية و لاسيما عدوتنا اللدود فرنسا أعرف .

إيزابيلا : و ما دمت تعرف قدراتي و علاقاتي المميزة خارجيا ، ففيما تجاهلك المستمر لآرائي و إقتراحاتي المهمة بخصوص حربنا ضدهم ؟! أما آن الأوان أن نقضي عليهم و نستأصل شأفتهم ؟! إنهم أضعف منا بكثير ، يكفي أنهم واقعين تحت قبضتنا براً و بحراً لا يستطيعون الفكاك منها .....

فيرناندو : و مع ذلك إستطاعوا هزيمتنا في باب الخضراء و تدمير أقوى أسلحتنا الحديثة المدافع النارية و التي إشتريناها بسعر باهظ من تجار جنوا و البندقية التي من خلالها يمكننا دك أسوار عاصمتهم غرناطة دكاً دكا و جعلها هباءً منثورا كي نتمكن من إقتحامها بيسر و تقولين أضعف منا ؟!

إيزابيلا : إنه خطأوك أنت ، فخطتك بإقتحام المدينة من الأسوار الأمامية كانت فاشلة ، فباب الخضراء من الأسوار المنيعة جدا ، فلو هاجمت نظيراتها في الشطر الغربي من المدينة و التي هي نقطة ضعفها لإستوليت عليها في غمضة عين .

فيرناندو : ماذا دهاك يا إيزابيلا ؟ أنت تعلمين أن الأسوار الغربية لا تحتوى سوى على غابات السنديان البرية الكثيفة و هي أيضاً ليست ضمن حدود المدينة ، كما أنها تحتوي على حيوانات متوحشة و برية و أشجار ضخمة يختبئ فيها رماتهم بسهولة تحت ردائها الأخضر مما يشكلون خطراً داهماً على جيشنا الذي ما إن

يصل الى أعلى تلة مشرفة على المدينة حتى يكون وجودنا مكشوفا أمامهم بسهولة عبر مناظيرهم الطويلة ليحصدونا جميعا برماحهم و سيوفهم بغمضة عين .....

إيزابيلا : إذا أعدت خطة عسكرية محكمة جيدة الأحكام لن يحدث لك هذا المصير المشئوم .....

فيرناندو : إذن فكري لنا بخطة عسكرية تحقق لنا النصر الحاسم ضدهم (إيزابيلا تصمت) أراك قد صمت دون أن تنطقي بأي حرف ، أرأيت يا عزيزتي إنك لا تفقهين الوضع جيدا ؟ لكن يبدوا أن حلم الوصول الى الصين و الهند عبر بحر الظلمات كما زين لك ذلك البحار الإيطالي كريستوف كولمبوس جعلك تقفزين على الحقائق المرة التي نعيشها على أرض الواقع خلال صراعنا مع هؤلاء العرب .

إيزابيلا : بالعكس يا عزيزي ، إن رحلته هي التي ستنقذ إقتصادنا و مكانتنا السياسية في أوروبا ، صدقني .

فيرناندو : هذا إذا تحققت مزاعم ذلك الشاب الجنوي المغتر بنفسه فيما يتعلق برحلته المشكوك في نجاحها أصلا بقول كثير من الخبراء و العلماء عندنا ....

إيزابيلا (تربت على ذراعه بقلق) : ما بك يا عزيزي ؟ أراك متشائماً جداً ؟! ألمجرد خسرنا معركة أمامهم أصبحت بهذه الحال ؟!!! .....

فيرناندو : إنها ليست معركة واحدة فحسب بل حرباً دامت مائة عام لازلنا نخوضها ضدهم الى حد الآن .

إيزابيلا : حرب ؟ ماذا تقصد ؟!

فيرناندو (يمسك ذراعيها متحسساً إياهما بلطف) : بسبب هذه الحرب التي تسمينها سهلة أصبحت صعبة بعد هذه المعركة الفاصلة أمام باب الخضراء ماديا معنويا ..

إيزابيلا : كيف ؟

فيرناندو : وضع دولتينا الإقتصادي و العسكري سيء للغاية من جراء تلك الحرب (ينهض) الخزينة أصبحت شبه فارغة و تكبدنا خسائر في الأرواح و العتاد ..... صحيح أنها أقل من خسائر أعدائنا العرب لكنها ستثير غضب النبلاء و قادة الجيش و تحديداً نظرائهم في مملكة قشتالة ، إضافة إلى الديون المتراكمة علينا التي لم نسددها بعد لحلفائنا المساندين لنا في الحرب .....

إيزابيلا : ها أنت قلتها ، شركائنا و حلفائنا ، فلنطلب المساعدة من الإمبراطور الروماني المقدس كارل الرابع و البابا مجددا كي نحسم الحرب مقابل أن نسدد ما علينا لهم على هيئة أقساط سنوية .....

فيرناندو : إيزابيلا ! إيزابيلا ! حلفاؤنا مشغولون جدا الآن بقضايا أهم منا ، فالإمبراطورية الرومانية و بابوية روما يجندان الممالك و الإمارات الأوروبية لمواجهة الخطر العثماني القادم من آسيا الصغرى بعد أن محوا إسم الإمبراطورية البيزنطية من الوجود بعد دخولهم عاصمتها عام ١٤٥٣م و من ثم بدأوا يزحفون سريعا الى البلقان و إيطاليا و لن يكترثوا بمطالبنا و نداءاتنا تلك ، أتفهمين ؟ .

إيزابيلا : أفهمك يا عزيزي ، إذن لا فائدة ، أليس كذلك ؟

فيرناندو : نعم ..... إلا في حالة واحدة !

إيزابيلا : حقا ؟! و ما هو ؟!! قل لي ما هو ؟!!! أهو سلاح سري تخفيه عني ؟!!!

فيرنانـدو : لا لا أبـداً ، و لكنـي خـائف مـن ألا يـنجح مـا أخطـط لـه الآن إذا لـم نلتـزم بـه حرفيـا و يظـل كـي الكتمـان (يجلـس بجانبهـا و يقتـرب منهـا) حاليـا نقـوم بتجنيـد عـددا مـن أعيـان غرناطـة و تجارهـا و قادتهـا العسـكريين ليكشـفوا لنـا عـن نقـاط الضـعف فيهـا و أسـوارها و جيشـها المتمركـز بـالقرب منهـا ليفتحـوا أبوابهـا لنـا دون أن نتعـرض لخسائر جديدة في صفوفنا .

إيـزابيلا : تعـرف يـا عزيـزي لـو أن الخطـة التـي دبرتهـا نجحـت نجاحـاً بـاهراً ؟ سـوف نضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد – العرب و مشاكلنا الداخلية و الخارجية .....

فيرنانـدو : بـل قـولي أربعـة عصـافير بحجـر واحـد ، هـل نسـيت رحلـة كريسـتوف كولومبوس الى ما وراء بحر الظلمات ؟ هه ؟

إيزابيلا : هل هذا يعني أنك موافق عليها ؟!!

فيرناندو : طبعا يا عزيزتي ، أليس هذا سينقذ إسبانيا من أزماتها كما قلت ؟

إيزابيلا : أحبك يا عزيزي .

فيرنانـدو : و أنـا أيضـاً (يتعانقـان ، بعـد ثانيـة تطفـأ الأنـوار عنـدهما و تضـأ فـي القسـم الآخـر الـذي يوجـد فيـه أبـو عبـدالله الصـغير و هـو جـالس علـى عرشـه متـوترا فيـدخل

الى خشبة المسرح بسرعة موسى بن أبي الغسان)

موسى : لبيك يا مولاي .

أبو عبدالله (ينهض غاضباً) : الآن تقول لبيك ؟!! لما تأخرت علي هكذا كل هذا الوقت ؟!

موسى : آسف على تأخري يا مولاي ، لكني لم أفهم ما عناه الحاجب و لاسيما أنه أتى إلى بيتي خفية أخذني إلى مكان قصي و همس لي بأنك تريدني على وجه السرعة لذا أتيت (يهدأ أبو عبدالله و يوقف غضبه و يأمر موسى بالجلوس) خيرا إن شاء الله يا مولاي ، هل هناك أمر خطير ؟

أبو عبدالله : أمر خطير واحد ؟!!! بل قل عدة أمور خطيرة حدثت هذا الأسبوع و أنت غافل عنها و تغط في نوم عميق يا قائد جيشنا المحنك ، الداهية ، الحازم ؟ !!

موسى : ما الأمر يا مولاي ؟!! حديثك لي يحمل في طياته إتهاما شديدا بالتقصير المخل بعملي ، هل أذنبت في شيء جلالتك ؟!!!

أبو عبدالله (ينظر إليه بوجوم) : ما حقيقة الأخبار و المعلومات التي سمعتها من سكان التلة الأرجوانية القريبة من الأسوار الغربية لمدينة غرناطة ؟!!!

موسى : أية أخبار ؟!!!

أبو عبد الله (يصرخ بغضب) : موسى ؟!!!

موسى : صدقني يا مولاي ، أنا لا علم لي بما جرى في التلة الأرجوانية ؟!!! .....

أبو عبد الله : ماذا تعني بأنه لا علم لك بما حدث هناك ؟!!! ألست قائد الجيش و مهمتك التحكم بمنافذ و مخارج و أسوار مدينة غرناطة و حمايتها من الأعداء المتربصين بها ؟

موسى : بإستثناء منطقة التلة الأرجوانية ، فهي منطقة شديدة الوعورة حتى بالنسبة لأعدائنا ، و لو أرسلنا جيشنا بأكمله لما تمكنا من حراستها ، إلا أننا إكتفينا بإنشاء برج مراقبة لرصد تحركات الأعداء فحسب .

أبو عبد الله : ألم ينقل لك عيونك بأن الإسبان قد إستولوا على الأسوار الغربية للمدينة و بدأوا ينصبون مدافعهم قبالة التلة الأرجوانية و سكانها كي يطلقوا النار عليهم ؟!

موسى : ماذا ؟!!! (موسيقى صاخبة) و لكن القائمين على برج المراقبة أكدوا لي بأنه لم يحدث أي تسلل أو إقتحام لجنود العدو في ذلك اليوم ؟

أبو عبد الله : هل أنت متأكد من ذلك ؟!!!

موسى : نعم (مخرجاً أوراقاً من معطفه و يريها للسلطان) و هذه هي التقارير الصادرة خلال هذا الأسبوع ، لم تسجل أي إعتداء عسكري على المنطقة المذكورة آنفا ، أنظر .

أبو عبد الله (بعد إطلاعه على التقارير) : هذا شيء لا يصدق ، شيء لا يصدق

..... يبدو أننا تعرضنا للخيانة يا موسى .

موسى : خيانة ؟!!! من جنودنا ؟!!!

أبو عبد الله : أو من غيرهم ، لذا يجب التحقق من الموضوع و التأكد من صحة شكوكنا فيه ..... شكل لجنة للتحقيق مع الجنود في برج المراقبة حول أسباب إستيلاء الإسبان على الأسوار الغربية ، هيا ، تحرك !

موسى : أمرك مولاي (يخرج موسى من الخشبة تاركا السلطان أبو عبد الله في حالة توتر و قلق ثم تطفأ الأنوار عليه و تضأ في القسم الثاني حيث فيرناندو و إيزابيلا)

إيزابيلا (ترى زوجها فيرناندو قلقا و متوترا و يدور حول نفسه) :

عزيزي ، مرت ثلاث دقائق و لا زلت تدور حول نفسك جيئة و ذهاباً دو توقف مما أثار في نفسي القلق و الجزع ، هلا هدأت قليلا رجاءً ؟!!

فيرناندو : أنا خائف يا إيزابيلا (يجلس بقربها) خائف من ألا تنجح خطتي !!

إيزابيلا : إهدأ يا عزيزي ، إنها خطة محكمة و لا سيما أن حلفاءنا داخل غرناطة سيسهلون من نجاحها بالتأكيد ، أليس كذلك ؟!!!

فيرناندو : بلى ، و لكن .... و لكنهم تأخروا ، لقد مرت خمس دقائق و لم تصل منه أية رسالة بعد .

إيزابيلا (تسمع أصوات صهيل أحصنة) : إسمع وقع حوافر خيول قادمة نحونا ؟

فيرناندو (ينهض) : يبدو أنه رسل من عند قائد جندنا هناك جونزاليز (يدخل الى خشبة المسرح جندي حاملا رسالة و يؤدي التحية العسكرية أمام الملك) ماذا وراءك ؟

الجندي : أنا مبعوث القائد جونزاليز إليكم يا مولاي حاملاً معي لجلالتكم رسالة منه ....

فيرناندو (يأخذ الرسالة منه بالقوة) : هاتها (يأمر الجندي بالإنصراف فيخرج الأخير من الخشبة ، و بينما كان يقرأ الرسالة حتى إنفرجت أساريره و أصبح سعيد فطوى الرسالة بشدة) رائع .

إيزابيلا : ما الأمر ؟ أراك سعيداً جداً ، شاركني الفرحة معك ؟!

فيرناندو (يجلس بالقرب منها) : أبشري يا إيزابيلا أبشري ..... لقد إستطعنا إحتلال الأسوار الغربية للمدينة بالإضافة الى التلة الأرجوانية أيضاً .

إيزابيلا : حقا ؟!!! (يومئ برأسه دليلا على الموافقة) بالأحضان يا عزيزي (فيتعانقان من شدة فرحتهما تصاحبهما موسيقى مرحة كنسية ، و بعد ثلاث ثوان تطفأ الأنوار عندهم و تضأ في القسم الأول حيث قصر أبو عبد الله الصغير مصاحبة لحظة دخوله غاضباً الى الخشبة بمعية قائده موسى بن أبي الغسان)

أبو عبد الله : كيف حدث ذلك الإقتحام السريع في غفلة منا كيف ؟!!!! (يلتفت إلى موسى) أنت قائد للجيش ؟! في ساعة واحدة فقط إستولوا على التلة الأرجوانية و الأسوار الغربية في لمح البصر أمامكم ؟!!!

موسى : أنا لا أعرف حقا كيف أفسر لك ما جرى ليلة البارحة ، صدقني يا مولاي .....

أبو عبد الله : لا تعرف ؟!!! إذن كيف تقول لي بأنك مسيطر تماما على مداخل المدينة بشكل محكم لدرجة أن الفئران لا تستطيع النفاذ من خلالها البتة ، هه ؟!!! (موسى لا يرد) لا جواب ، لقد عجز لسانك عن الرد ، أليس كذلك ؟!!!

موسى : هو ذاك يا مولاي ، إن ذنبي عظيم أمام حضرتك لن يمحيه سوى السيف .....

أبو عبد الله : كف عن هذا الكلام السخيف يا موسى ، فخسارتك للتلة الأرجوانية ليس معناه نهاية العالم و تستحق عليها عقوبة القتل ، فأنت قبل أن تكون قائد جيشي أنت صديقي الوفي و زميل دراستي عند الشيخ ، و لكن ما حدث في تلك الليلة يعد مصيبة فادحة أصابتني بوجع كبير في قلبي على الرغم من أن الموضوع أكبر منك ، هذا كل ما في الأمر (يربت عليه) أتفهمني يا موسى ؟

موسى : أفهمك يا مولاي ، أفهمك .

أبو عبد الله : و الآن أخبرني ، ماذا أسفر التحقيق الذي أجريتموه على الجنود في البرج ؟!!!

موسى : لقد أسفر عن نتائج خطيرة و أسماء رفيعة المستوى متورطة في تسليم التلة الأرجوانية للأعداء .....

أبـــو عبـــد الله : مـــاذا تقصـــد بأســـماء رفيعـــة المســـتوى متورطـــة فـــي الموضـــوع ؟!!! أفصـــح لو سمحت !!

موســـى : أقصـــد بـــأن التحقيـــق أثبـــت تـــورط قـــادة عســـكريين و تجـــار و وزراء و رجـــال دين في تسليمها للإسبان .....

أبـــو عبـــد الله : مـــاذا تقـــول ؟!!! (بعـــد قليـــل يـــدخل الحاجـــب إلـــى الخشـــبة نحـــو السلطان) .

الحاجب : مولاي ، مولاي .

أبـــو عبـــدا الله : مـــاذا دهـــاك أيهـــا الحاجـــب ؟! كيـــف تقـــتحم مجلســـنا بهـــذه الطريقـــة الفجـــة الفظـــة ، مـــاذا تظـــن نفســـك ؟!!! ..... (الحاجـــب يبكـــي أمامـــه) ثـــم لمـــاذا تكبـــي هكذا بحرقة ؟!!!! ما الخطب ؟!!!

الحاجـــب : أعـــذرني يـــا مـــولاي ، اهـــيء اهـــيء اهـــيء ، و لكـــن الخطـــب جلـــل ، لقـــد لحقت مولاتي السلطانة بالرفيق الأعلى ، اهيء اهيء اهيء .

أبو عبد الله : أمي ؟

الحاجب : كلا يا مولاي ، إنها حرمكم السلطانة عاتكة .

أبـــو عبـــد الله : ويحـــك يـــا هـــذا !! هـــل تمـــزح معـــي ؟!! كيـــف تمـــوت مـــن حمـــى عـــابرة بعدما برأت منه قبل يومين على يد أفضل أطبائنا قبل يومين ؟!!!

الحاجـــب : بلـــى يـــا مـــولاي ، لكـــن قلبهـــا الضـــعيف المرهـــف الحـــس لـــم يتحمـــل آثـــار

الحمى التي زالت عنها ففارقت الحياة على إثر ذلك بعد صلاة العشاء داخل غرفتها ، اهيء اهيء اهيء .

عععاتكة ، عاتكة ماتت ؟!!! مستحييل (موسيقى صاخبة فحزينة في نفس الوقت تطفأ الأنوار على القسمين معا)

(تنزل الستارة)

المشهد الرابع

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور غرفة نوم السلطان ، و يوجد فيه السلطان جالساً على سريره حاملاً بين يديه آخر ثوب إرتدته زوجته قبيل وفاتها بالحمى و تحيط حوله مجموعة من الراقصات الشابات المرتديات لثياب الجواري يرقصن على أنغام أغنية صلاح العمر (قفا نبكي) للشاعر اليمني القديم إمرؤ القيس الكندي أمير الشعراء الأول حتى تنتهي ثم يخرجن الراقصات من الخشبة و يتركن الرجل في حالة يرثى لها دون كلمة)

أبو عبد الله (يذرف الدمع) : لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا تركتني وحدي يا عائشة لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ (يبكي محتضنا ثوبها الأبيض المخملي) ..... ألأنني سلطان غرناطة الضعيف الأسير ؟ القليل الحظ و الحيلة ؟ الذي بينه و القبر خطوة واحدة نحو الموت الأكيد على يد أعدائه الذين باتوا قريبين منه بعد أن إستولوا على الأسوار الغربية لمدينته الآيلة للسقوط كآخر حاضرة من حواضر الأندلس العربية الإسلامية في أرض ليست ملكنا البتة ؟ (يقذف بثوبها على خشبة المسرح ما يلبث أن يرفعها من الأرض و يزيل عنها التراب) عفوك يا عزيزتي عفوك ..... لم أكن أقصد هذا ، رجاءً سامحيني على ما فعلت ، لكن فراقك المر جعلني أتصرف بمنتهى الحدة و الغضب حد الجنون في مدلهماته الكئيبة و سراديبه الحالكة

السواد (يبكي لامساً ثوبها) لقد كنت تحبيني حب العبادة و أنا أتجاهل مشاعرك مرارا و تكرارا ظنا مني أنك تصطنعين حبك أمامي بعدما أجبرتك أمي على الزواج مني ، جارية سليبة جليبة تتبع سيدها أينما حل و أينما رحل ، و تنفذ أوامره التافهة و الجارحة لكرامتها كإنسانة و لو كان الأمر بخلع ثيابها كاملة لتصبح عارية تماما أمامه إرضاءً لرغباته الدنيئة (يبكي مجددا) سامحيني ..... سامحيني (يرتمي في السرير محتضنا ثوبها ، ثم تطفأ أنوار المسرح فجأة فيدخل خيال السلطانة عاتكة إلى الخشبة فتسلط عليها دائرة ضوئية و هي تسير ناحية السرير و تربت على رأسه)

عاتكة : و من قال لك أنني سأفترق عنك يا عمري و روحي المضيئة في جسدي حتى بعد مماتي ؟

أبو عبد الله (ينظر إليها فينهض فزعا) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؟!!! .....

عاتكة : ما بك يا عزيزي خائف مني ؟!!! آذيتك بشيء ؟!!!!

أبو عبد الله : لا لا أبداً ، كل ما في الأمر أني تفاجأت بوجودك ، أنت مازلت على قيد الحياة ؟!!!! لقد كذبوا علي ؟!!! أجل كذبوا علي ....

عاتكة (تمسك بيده بلطف) : لم يكذبوا عليك ، فلم يمت أمامك سوى جسدي الفاني، أما روحي الطاهرة فمازالت تنبض بالحياة و الأمل و الخلود كل دقيقة و كل لحظة طوال عمرنا يا عزيزي .

أبو عبد الله (يمسك بكلتا يديها) : أعرف يا عزيزتي (يقبلهما) أعرف أنك سر وجودي و حياتي التي لا غنى لي عنك ، على الرغم من .....

عاتكة : على الرغم مماذا ؟ بح بما يجيش به صدرك من أسرار و أنات ، لا تخشى شيئا .

أبو عبد الله : على الرغم من أني لم أحبك قط و لم أحترم مشاعرك بل إني عاملتك كالجواري دون شفقة أو رحمة ، أرجوك سامحيني على ما بدر مني من إساءات و إهانات نحوك ، و إذا لم تردي مسامحتي فهذا حقك (يجثو و يحاول تقبيل يدها باكيا فترفعه و تمسح دمعته)

عاتكة : حبيبي ، أنا لست غاضبة منك حتى أسامحك ، بل إني أعرف أن والدتك أجبرتنا على الزواج من بعضنا حتى تنسى الفتاة التي كنت تحبها كثيرا دون توقف ألا و هي إيزابيلا زوجة أبيك .

أبو عبد الله (يندهش) : حقا ؟ كنت تعرفين و سكتت ؟ (تومئ بالموافقة) لماذا ؟!!!

عاتكة : لأنني أحبك ، و لأنني أحبك لم يرضني أن تدخل في صراع مع أمك بسبب رفضك المستمر لي (تبكي) و لأنني أحبك قبلت أن تحب إيزابيلا و تزورها بإستمرار الى ملقا حتى بعد زواجها من أبيك .....

أبو عبد الله : إذن كنت تعرفين أني أحبها حتى بعد زواجي منك (تومئ برأسها مجددا بالموافقة) و أزورها سرا و أنت تصمتين عن كل هذا ؟

عاتكـــة : نعـــم ، ســـامحني رجـــاءً ، و لكنـــي لـــم أود أن أجـــرح مشـــاعرك و ..... (يحتضنها و يتحسس شعرها بحنان و رقة) .

أبـــو عبـــد الله : آه يـــا عزيزتـــي ، كنـــت تتحمليـــني و تصـــرفاتي الحـــادة نحـــوك و إحتقـــار أمي لك كل هذا الوقت من أجل أنك تحبينني ، تحبين رجلا آيل للسقوط ؟

عاتكـــة : مـــن قـــال هـــذا الهـــراء ؟ أنـــت لســـت أول مـــن تســـبب فـــي ســـقوط معظـــم أراضـــي الأندلس بيد الإسبان ، أنت تحملت أخطاء غيرك فحسب .....

أبـــو عبـــد الله : و هـــذه هـــي مشـــكلتي (يـــنهض) فأنـــا دائمـــا أتحمـــل أخطـــاء غيـــري دونمـــا إعتراض و أقع فريسة سهلة في فخاخها السرابية ....

عاتكة (تربت عليه) : و مع ذلك بذلنا ما بوسعنا لتصحيحها دون توقف أو يأس .

أبـــو عبـــد الله (يلتفـــت) : عاتكـــة ، لمـــا لا تأخـــذيني معـــك إلـــى عالمنـــا الآخـــر ؟ خـــذيني الى الجنة معك رجاء ؟

عاتكة (تبتعد قليلا) : فيما بعد يا عزيزي فيما بعد .

أبـــو عبـــد الله (يمســـك بكلتـــا يـــديها) : فيمـــا بعـــد مـــاذا يـــا عزيزتـــي ؟ أتوســـل إليـــك خـــذيني معـــك ، أريـــد أن أرتـــاح مـــن همـــومي التـــي لا تطـــاق ، رجـــاء خـــذيني معـــك إلـــى الجنـــة خذيني معك ، أنقذيني من هذا المستنقع العفن الغائص فيه حتى أذني ، أرجوك .

عاتكـــة (تبتعـــد عنـــه بـــالمرة) : فيمـــا بعـــد يـــا عزيـــزي فيمـــا بعـــد (تبـــدأ بـــالخروج مـــن الخشـــبة فليلحقهـــا الـــى الكـــواليس مناديـــا بإســـمها و يحـــاول الإمســـاك بخيالهـــا متوســـلا قبـــل أن

تـــدخل والدتـــه الـــى الخشـــبة و تجـــد ولـــدها فـــي حالـــة هذيانـــه تلـــك فتمســـك بـــه فتصـــفعه بغية إيقاظه)

عائشة : بني ما بك ؟ إستيقظ من سهوك هذا ، إستيقظ .

أبو عبد الله (يستفيق من يقظته) : أمي ؟!! ما الذي أتى بك إلى هنا ؟!!!

عائشـــة : أنـــا الـــذي أســـألك ، لمـــاذا تكلـــم نفســـك هكـــذا طـــوال الوقـــت ؟!! لقـــد وصـــل صوتك الى البهو السلطاني و تحت أسماع الحراس الذين كانوا قلقين عليك ....

أبـــو عبـــد الله : أمـــي ، أنـــا لـــم أكـــن لوحـــدي ، كنـــت أتحـــدث مـــع زوجتـــي ، هـــذا كـــل مـــا فـــي الأمر ، فلا داعي للقلق .

عائشة : قلت زوجتك ؟!!!

أبـــو عبـــد الله : نعـــم زوجتـــي ، لـــذا دعينـــي و شـــأني أريـــد أن أنـــام (يـــذهب الـــى ســـريره و ينام أمام ذهول أمه مما سمعته)

عائشة : لا حول و لا قوة إلا بالله ، لقد جن إبني ، لقد جن (موسيقى صاخبة)

(تنزل الستارة)

المشهد الخامس

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور و أثاث الخيمة الملكية بالقرب من أسوار غرناطة و فيه تدور الملكة حول بلاطه بشكل دائري مرتلة بعض الصلوات و الأناشيد الدينية قبل أن يدخل زوجها الملك فيرناندو الى الخشبة متفاجئا بذلك)

فيرناندو : ماذا تفعلين يا عزيزتي ؟! و لماذا تدورين حول نفسك هكذا ؟!!!

إيزابيلا : أبداً يا عزيزي ، أنا فقط أصلي بطريقة الله – الروح – القدس بشكل دائري حول صورة المادونا المقدسة و هي تحمل في حجرها يسوع المرسومة على بلاط القصر إبتهاجاً و سروراً .

فيرناندو : إبتهاجاً و سروراً ؟! بماذا ؟!!!

إيزابيلا : أنسيت ؟ بمناسبة نجاح خطتك الجهنمية البارحة و التي ستجعلنا نستولي على المدينة بسهولة و يسر .

فيرناندو : لا تستعجلي النتائج ، فمازالت بقية سكان المدينة يقاومونا حتى هذه اللحظة .....

إيزابيلا : أوه يا عزيزي ، لما أنت متشائم هكذا ؟ أخائف إلى هذا الحد من فشل خطتك ؟

فيرناندو : كيف لا أخاف فشلها ؟! (يشير بيده و يمشي نحو الجمهور) لقد

أنفقت وقتي و جهدي و مالي .....

إيزابيلا : تقصد مالنا يا عزيزي ، أليس كذلك ؟

فيرناندو (مرتبك) : بلى بلى عزيزتي ، أعرف ذلك ..... المهم أنني قضيت ليال طوال في الإعداد لها من أجل تحقيق مآربي في الإستيلاء على المدينة (يمسك بذراعيها بقوة) إنها الفرصة الوحيدة لتحقيق ذلك و لا تريدينني ألا أقلق ؟

إيزابيلا (تبعد يده) : أبعد يدك عني ، أنك تؤلمني .

فيرناندو : آسف .

إيزابيلا : ثم أنني على يقين بأننا سننجح في إجبار سكان غرناطة على الإستسلام لنا سواء نجحت خطتنا أم لم تنجح (تربت عليه) إطمئن .

فيرناندو : ماذا تقصدين بأن سكان غرناطة سيستسلمون لنا حتى و لو فشلت الخطة ؟!!!

إيزابيلا : أعني أن الخطة حتى لو فشلت في إحتلال جزءً من أسوار المدينة فإنها ستلقي الرعب و الشك داخل سكانها و لاسيما النخب السياسية و الإقتصادية و العسكرية التي تخاف على مصالحها أكثر من مصلحة وطنها سيما المتحالفين معنا في السر ، فيمارسوا الضغوط على السلطان و عائلته و رجاله ليجبروه على الإستسلام لنا ، أليس كذلك ؟

فيرناندو (يضحك) : يالك من داهية يا إيزابيلا ، لقد عرفت من أين تؤكل الكتف

حتى و لو كان كتف زوجك القليل الحيلة أمام دهائك (يضحكان كثيرا ، قبل أن يدخل عليهما الى الخشبة الحاجب)

الحاجب : مولاي ، السيد كريستوفر كولمبوس يطلب الإذن بالمثول بين يديك .

فيرناندو : ماذا يريد هذا الفضولي السمج لنا ؟ ألا يعرف أننا في حالة حرب ؟!!!

إيزابيلا : أعذره يا عزيزي ، فحماسته لرحلته الإستكشافية جعلته ينسى أبسط قواعد اللياقة و الآداب المتبعة (توكزه بلطف) و لاسيما أننا بدأنا نقترب من حسم المعركة لصالحنا ، هه ؟

فيرناندو (مندهشاً) : همم ، يبدو أن حماستك المفرطة لهذه الرحلة و سعيك اللاهث وراء بلاد الذهب في الصين و الهند جعلك تخرجين عن القواعد لدرجة أنك صرت ودودة و لطيفة معي أكثر من اللازم (يضحكان) دعه يدخل (يومئ الحاجب بالطاعة و يخرج من الخشبة ، فيجلسا على العرش المزدوج و بعد قليل يدخل الى الخشبة كولمبوس ملقيا عليهما التحية جاثيا على ركبتيه)

كريستوفر : صباح الخير يا مولاي ، صباح الخير يا مولاتي .

إيزابيلا : صباح النور (تصمت أمام نحنحة زوجها)

فيرناندو : ماذا وراءك هذه الساعة ؟ أهو متعلق برحلتك الإستكشافية ؟

كريستوفر : هو ذاك يا مولاي .

إيزابيلا : هات ما عندك .

كريستوفر : حسنا مولاتي ، لقد إستطعنا أن نجلب المزيد من البحارة لسفننا الأربع و جميعهم موثوقين بهم .

فيرناندو : و كيف إستطعت إقناعهم بهذه السهولة و أنت تعلم جيدا أن العديد منهم كان يرفض المشاركة في الرحلة و لاسيما أنها متجهة إلى بحر الظلمات الذي ما إن يمخر أحدهم عبابه حتى يقع في قعر شلالاته العميقة و لا يعود منه ألا جثة هامدة ؟

إيزابيلا : عزيزي ، لما تتحدث مع الرجل هكذا ؟ أما يكفي أنه إستطاع إقناع عدد كبير من بحارتنا الجبناء الذين لم يتجاوزوا حدود مرافئ قواربهم حتى و الآن تحاول أن تثبط عزيمته ؟ ....

فيرناندو : و لأن بحارتنا جبناء إستغربت كيف إستطاع هذا الجنوي إقناعهم بمنتهى السهولة و نحن لم نستطع بقوتنا و جبروتنا أن نلزمهم بها ، كيف ؟

كريستوفر : يا مولاي ، هناك بحاران مشهوران ساعداني في ذلك .

إيزابيلا : بحاران مشهوران ؟!! أهما من مسقط رأسك في جنوا ؟!!!

كريستوفر : كلا إنهما من إسبانيا و يديران تجارة القطن و الحرير من ميناء سانتا ماريا .....

فيرناندو : هل تقصد أحمد الرياش و موسى بن ساطع ؟!!!

كريستوفر : أجل يا مولاي ، هما بالضبط تماما كما ذكرت جلالتك .....

إيزابيلا : ويحك يا كريستوفر ؟! أتتعاون مع أعدائنا الأندلسيين ؟!!!

فيرناندو : أوصلت بك الوقاحة إلى هذا الحد أيها الجنوي المغرور ؟!!!!!

كريستوفر : مولاي ، دعني أشرح لك .....

فيرناندو (ينهض غاضباً) : تشرح ماذا ؟!!! أما يكفي أنك فرضت علينا مطالبك الوقحة بخصوص رحلتك و ميزانيتها الباهظة التي ستجعل خزينة دولتنا خالية الوفاض دون أن تحترم مكانتنا و ظروفنا الصعبة الآن و لاسيما أننا منذ ثلاثة عقود و نحن نخوض حرباً ضروساً ضد آخر ما تبقى من وجود للأندلسيين في بلدنا الذين تسببوا بخسائر في المال و العتاد و العدة جراء مقاومتهم الشرسة لنا فإذا بك تتعاون معهم بمنتهى البساطة و من وراءنا ؟!!! صدق من قال بأن الوقاحة كنز لا يفنى عند بعض الناس ...

كريستوفر : أنا لست وقحاً يا مولاي ، بل صاحب مشروع جبار ستجنون من ورائه العديد من المكاسب المادية و السياسية لكم و لدولتكم و بناء على موافقتكم السامية عليه ..... أعذراني على صراحتي تلك و يحق لكم أن تفعلا بي ما تشاءان ، و لكني لم أرتكب أي خطأ يذكر بتعاوني مع الأندلسيين ، بل و لو كنتم مكانتي ستعملون نفس الشيء .....

فيرناندو : ماذا تقصد ؟!!!

كريستوفر : أقصد أن الأندلسيين للأسف هم الوحيدون الذين لديهم خبرة علمية و عملية واسعة تفوق ما لدينا من معارف و علوم في هذا الحقل و لاسيما في كيفية

التعامل مع البحارة و مشاكلهم و خطوط الطول و العرض و العلوم البحرية و الفلكية .....الخ ، ثم أنا تعاونت معهم بعلم مسبق من وزيركم الكاردينال خمينيس الذي سمح لي قبل يومين بمقابلة أحد علمائهم المتخصصين في علمي الجغرافيا و الفلك ألا و هو الوليد بن عبيد الله البكري القاطن في قرية قريبة من غرناطة تدعى إقيليطش .....

إيزابيلا : وزيرنا خمينيس سمح لك بدخول غرناطة المحاصرة ؟!!!! دون إذننا ؟!!! الويل له .

فيرناندو : إهدائي يا عزيزتي رجاء فأنت لم تبرأي من مرضك بعد (يشير بيده الى ركبتها) يمكنك الإنصراف ، و إياك أن تقوم بأي تصرف من عندك و لو مرتجل دون علمنا و يجب أن تخبرنا بأعمالك أولا بأول و إلا حاسبتك حساباً عسيراً ، مفهوم ؟

كريستوفر : أمرك يا مولاي (يخرج كريستوفر من الخشبة دون أن تهدا ثورة غضب إيزابيلا)

إيزابيلا : يجب أن ألقن هذا الكاردينال الخرف ماذا يعني السمع و الطاعة (تنهض من مقعدها و تصرخ) أيها الحاجب ، أيها الحاجب (فيدخل الحاجب الى الخشبة)

الحاجب : نعم مولاتي .

إيزابيلا : إستدعي وزيرنا الكادرينال خيمينيس على وجه السرعة ...

فيرناندو : لا تستدعيه و عد الى عملك .

إيزابيلا : و لكن يجب .....

فيرناندو : هيا إنصرف (فيخرج الحاجب من الخشبة)

إيـــزابيلا (تنظـــر إليـــه بغضـــب و إســـتغراب) : مـــا الـــذي فعلتـــه الآن بحـــق الجحـــيم ؟!!! تكسر كلمتي أمام الحاجب ؟!!!! و من أجل هذا الحقير خيمينيس ؟ !!!! .....

فيرنانـــدو (يـــنهض) : إيـــزابيلا ، هـــذا الـــذي تنعتينـــه بـــالحقير هـــو مـــن علمـــك و ربـــاك منـــذ نعومـــة أظـــافرك (توافقـــه و تعتـــذر عمـــا بـــدر منهـــا) ..... أنـــه و كريســـتوفر لـــم يرتكبـــا فعـــلا أي خطـــأ فيمـــا يتعلـــق بتعـــاونهم مـــع الأندلســـيين بغـــرض تجهيـــز رحلتنـــا الإستكشـــافية الأولـــى التـــي ســـتجعلنا نســـيطر علـــى خطـــوط الملاحـــة البحريـــة الجديـــدة مـــع الصـــين و الهند غرباً .....

إيـــزابيلا : و مـــن أجـــل أن تـــنجح رحلتنـــا فـــنحن مضـــطرون للإســـتعانة بأعـــدائنا الأندلســـيين ؟!!!!

فيرنانـــدو : مثلمـــا إســـتعنا بأعـــدائنا الفرنســـيين فـــي إمـــدادنا بالســـلاح و هـــم حـــاولوا الإســـتيلاء علـــى ممتلكاتنـــا فـــي جنـــوب إيطاليـــا و كـــذلك صـــاهرنا الإمبراطـــور الرومـــاني المقـــدس رغـــم الإخـــتلاف العرقـــي و السياســـي و المـــذهبي بيننـــا (يمســـك بـــذراعيها) ثـــم إن الأندلســـيين كمـــا قـــال كريســـتوفر لـــديهم خبـــرة عميقـــة و ممتـــازة فـــي مجـــال العلـــوم البحريـــة و الفلـــك و الجغرافيـــا تفـــوق مـــا لـــدى أســـاتذة أشـــهر جامعاتنـــا العريقـــة جامعـــة ســـلمنقا ، ثـــم أنـــك يـــا عزيزتـــي تعقـــدين الآمـــال و الطموحـــات علـــى نجـــاح هـــذه الرحلـــة

الذي سنجني منها الكثير ، أليس كذلك ؟

إيـــزابيلا : معـــك حـــق يـــا عزيـــزي ، فلنـــنس نزعتنـــا الأيدلوجيـــة قلـــيلا إلـــى مـــا ينفـــع مصـــالحنا سيما أننا خسرنا الكثير من أموالنا جراء هذه الحرب ، إتفقنا ؟

فيرنانـــدو : إتفقنـــا ، و بمناســـبة أننـــا إتفقنـــا ، هـــل نـــأمر بإحضـــار الـــوزير خيمينـــيس لمعاقبتـــه كما طلبت ؟!! أنا جاهز لذلك .

إيـــزابيلا (تضـــحك) : لا داعـــي لـــذلك ، ثـــم إن ســـمو كاردينالنـــا المبجـــل مـــريض بالســـكر هـــذه الأيـــام و لا يقـــوى علـــى أكـــل فطـــائر العســـل اليمنيـــة الأصـــل التـــي كانـــت تقـــدم لـــه فـــي سجن قلعة لامبيدوسا بولبا عقاباً له (يضحكان كثيرا)

(تنزل الستارة)

المشهد السادس

المنظر الأول

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكورين مختلفين يفصل بينهما حائط خشبي ، و تضأ أنوار المسرح على القسم الذي يظهر فيه ديكور جنة العريف داخل قصر الحمراء الآن و فيها السلطان أبو عبدالله جالساً في عرشه مهموما بمصابه الجلل و بجانبه الحاجب يحاول موآساته)

الحاجب : يا مولاي ، إرحم نفسك و صحتك ، لقد مر أسبوعان و أنت على هذه الحال رهين محبسك في القصر لم تذق طعاماً و لا شراباً بوضع لا يرضي عدواً أو حبيباً حتى جبال غرناطة و سهولها لم تعد تتحمل غرقك المؤلم في بحر من الأحزان التي لا ضرورة لها .....

أبو عبدالله : حسبك ، و كف عن إزعاجي .

الحاجب : عفوك مولاي ، سامحني على تجاوزي آداب الحديث معك ، و لكني حاولت أن خرجك من حالة الحزن التي عمت أرجاء جسدك منذ أيام على إثر وفاة مولاتي السلطانة عاتكة طيب الله ثراها ، هذا كل ما في الأمر ...

أبو عبدالله : لا أستطيع أيها الحاجب ، وفاتها أفقدني ما تبقى لدي من صواب في عقلي القابل للإنفجار في أية لحظة من كثرة المشاكل المتكدسة و المزدحمة في

أرجائه دون أن تبقي حيزا فارغا حتى (ينهض) الإسبان من جهة و الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة على العرش من جهة أخرى ، و الحصار و الجوع و الفقر و الخونة و الصراع المزمن بين اليمنية و القيسية التي لم تبرأ الأندلس منه بعد و مثله الصراع بين الأعراق الأخرى و النزاع بين والدتي و زوجة أبي الثريا ..... و غيره من المشاكل الذي لا يتسع وقتي و حالتي لإفساح المجال لتناوله .....

الحاجب : على ذكر السلطانة الثريا يا مولاي فإنها تنتظر في الباب تطلب الإذن بالمثول أمام جلالتك .....

أبو عبدالله : أتركتها تنتظر على باب القصر كل هذا الوقت ؟!!!

الحاجب : كنت أعتقد أن موضوعها ليس مهما .....

أبو عبدالله : ويحك أيها الجلف ، إنها زوجة أبي السلطان الذي هو مولاك أيها الأحمق ، هيا ... هيا أدخلها الآن قبل أن أضرب عنقك (يصرخ) هيا .

الحاجب : أمرك يا مولاي (يهرول نحو الباب ليدخلها الى الخشبة فيستقبلها أبو عبدالله بحفاوة بالغة ليجلسها بجواره)

أبو عبدالله : تفضلي يا إيزابيلا ، أقصد يا خالتي .

الثريا (تجلس) : ما زلت يا مولاي تناديني بإسمي السابق مع العلم أنني أسلمت و أضحيت بإسمي العربي الذي تعرفني به .

أبو عبدالله : العفو منك يا خالتي ، أعذريني على هذا الخطأ الغير المقصود .

الثريا : و أيضاً ما زلت تعتبرني بمقام خالتك أي زوجة أبيك ؟ مع العلم أنك أحببتني حباً جارفاً لم يبرح مكانه حتى كدت أن ترفع السيف في وجه والدك و سجنت لذلك من أجلي ..... (تطفأ الأنوار للدقيقة و تضأ دائرة ضوئية تظهر الصراع بين أبو عبدالله و والده أبو الحسن قبل القبض عليه و وضعه في السجن)

أبو عبدالله : أرجوك يا خالتي ، لا داعي لفتح الدفاتر القديمة ، و ما فات قد فات ، فدعي ما بيننا يقتصر على المحبة بين الإبن و زوجة أبيه ، هل هذا ممكن ؟

الثريا : ممكن ، و أعذرني على ما تلفظي به مسبقا ، أرجوك سامحني .

أبو عبدالله : لا عليك يا خالتي ، بل إني أطلب منك مسامحتي فيما إذا تجاوزت أدب الحديث معك ، فسامحيني .

الثريا : لا بأس عليك يا مولاي .

أبو عبدالله : حسنا ، قال الحاجب أنك تريدينني في أمر مهم ، أليس كذلك ؟

الثريا : نعم .

أبو عبدالله : ما هو ؟

الثريا (أخرجت من جعبتها صندوقا خشبيا مطعما بالصدف و الالماس مصنوع على الطريقة التقليدية الأندلسية و تقدمه له) : تفضل .

أبو عبدالله (يأخذها) : ما هذا ؟!!!

الثريا : إفتحها و سترى .

أبو عبدالله (يفتح الصندوق فيجد مجموعة من الأوراق) : إنها رزمة من الأوراق و الصكوك الرسمية ممهورة بختم أبي السلطان تمثل العقارات و الأملاك التي سجلها أبي بإسمك .

الثريا : هذا صحيح ، و لكني قررت أعطيها لك و تسجيلها بإسمك .

أبو عبدالله : ماذا ؟!!! بإسمي ؟!!!! لماذا يا خالتي ؟!!!!

الثريا : حتى تستطيع التصرف بها بحرية و إستخدامها في الإنفاق على الجيش و مصاريف الحكومة و توفير الطعام و الدواء للناس .

أبو عبدالله : و لكن يا خالتي هذه أملاكك و نصيبك من ميراث أبي و أنت أحوج إليه بعدما توفي و لم يعد لديك أحد تستندين إليه .....

الثريا : غرناطة و دولة بني الأحمر هما في أشد الحاجة مني إلى هذه الأملاك ، فلست بحاجة لهذه الأملاك الزائدة عن حدي ، فخذها .

أبو عبدالله : لا يا خالتي لن أقبلها منك (يعيد الصندوق) خذيها .

الثريا (ترده) : لن أخذها و كفى ، لدينا ما يكفينا لبضعة أشهر ما يقيم صلبنا .....

أبو عبدالله : قلت لن أخذها و كفى .....

الثريا (بحزم) : و أنا أستحلفك بالله أن تقبل ، إن لم يكن من أجلي فمن أجل والدك الراحل رحمة الله عليه و طيب الله ثراه (يتردد) أرجوك .

أبو عبدالله : حسنا يا خالتي شكرا لك ، و لكني سأعتبره دينا علي سأرده لك فيما بعد .

الثريا : كما تشاء ، المهم أن تنزاح عن بلدنا هذه الغمة و يفرج الله عنا كربتنا و يحمينا من أعدائنا جميعا .

أبو عبدالله (يبتسم بإستغراب) : أعذريني يا خالتي لو سألتك سؤالا و ناديتك بإسمك الحقيقي .

الثريا (تبتسم) : أهذه هي المشكلة ؟! لا عليك يا عزيزي ، تفضل .

أبو عبدالله : إيزابيلا ، ألهذا الحد تحبيني حتى بعد زواجك من أبي و صرت بنظرك إبن الزوجة الأولى السلطانة عائشة التي لا تقبل بوجودك و تتمنى الخلاص منك ؟

الثريا : بل كان عليك أن تسال سؤالا آخر هو أصح من الأول .

أبو عبدالله : حقا ؟! و ما هو ؟!!!!

الثريا : أبو عبديل (تبدا بذرف الدمع) ألهذا الحد لاتزال تحبني حب العبادة حتى بعد أن غدرت بحبك الشريف لكي أتزوج من والدك الذي خلب ألباب الفتيات الإسبانيات و أنا من بينهن بأشعاره و فروسيته ؟ (تبكي) و على إثر ذلك أعلنت والدتك الحرب ضدي و أباك و عندما مات أمرت بإعتقالي ثم قتلي قبل أن تتدخل

و زوجتك السلطانة عاتكة الطيبة القلب و تنقذاني منها ؟ ..... (تنهار باكية ثم تطفأ الأنوار مجددا و تظهر دائرة ضوئية فيها الجنود يقبضون عليها بأمر من ضرتها السلطانة عائشة و يسلون سيوفهم لقتلها بأمر منها أيضاً قبل أن يوقفهم .

أبو عبدالله : خالتي (ينهض نحوها و يمسح دموعها) هدئي من روعك ، هدئي من روعك ، أنا آسف ، يا لي من أحمق ، ما كان علي أن أسألك مثل هذا السؤال الغبي ، سامحيني رجاء .....

الثريا : لا عليك يا عزيزي ، الخطأ خطئي أنا ، فأنا فتحت الجروح القديمة بعد أن إلتئمت و نسيها الجميع ، لذا أطلب السماح منك (يربت عليها) لكن معاملتك الطيبة و الحسنة لي جعلتني أشعر بإحساس ملؤه الفرحة و الحزن في آن معا لأنني أسأت لمشاعرك الصادقة حينها نحوي و مع ذلك قابلت الإساءة بالإحسان .....

أبو عبدالله : بل قولي قابلت الحب بالحب !

الثريا : قابلت الحب بالحب ؟!!! لم أفهم ؟!!!

أبو عبدالله : خالتي ، أقصد إيزابيلا ، أنت تحبينني أصلا ، لذا تزوجت بأبي لأنك لو أصريت على الزواج مني فيسجنني أو يقتلني أو حتى يعزلني من ولاية العرش و أيضاً لن تسامحني و ستتبرأ مني و تنكر أمومتها لي .

الثريا : و من أخبرك بهذا ؟! أنا لا .....

أبو عبدالله : لا تخافي و لا داعي للإنكار ، الحارس الوقف على سجني رأك و أبي في آخر الرواق و أنت تتوسلي له بأن يفرج عني مقابل أن تتزوجيه (تطفأ الأنوار مجددا و تظهر دائرة ضوئية تبين الحارس يرى الثريا تركع أمام والده لترجوه بعدم قتله)

الثريا : إذن فقد عرفت ، لقد أحسست بالذنب تجاهك و كنت أتمنى الخير لك لا الشر فسعيت الى إطلاق سراحك بأي وسيلة .....

أبو عبدالله : هذا هو المعنى الحقيقي للحب أي أن تتمني الخير لمن تكنين له المودة و السعادة و الإحترام ، لذا قابلت حبك لي و زوجتي و أمي التي داومتي على زيارتيهما حتى تلك اللحظة بأن أحببتك و أحببت والدي و واظبت على زيارتكما و مساعدتكما حتى وفاته رحمة الله عليه .....

الثريا : و مازلت تساعد زوجة أبيك أو خالتك أو إيزابيلا حتى ماديا و معنويا حتى تلك اللحظة لأنك تحبني أي تتمنى لي الخير الوفير عن حده ، من أجل ذلك قدمت أملاكي لك لأنك تحب غرناطة و أمك أي تتمنى لهما الخير ..... أستودعك الله .

أبو عبدالله : إلى أين ؟ لم نجلس كثيرا أو حتى دعوتك للغداء مع أمي ؟ لقد أصبحت أمي تودك و تحترمك و ليس كما في الماضي .

الثريا : أعرف يا عزيزي ، و لكن أريد أن أرجع الى بيتي بيت والدك رحمة الله عليه في ميناء المنكب .

أبو عبدالله : خالتي ، لما لا تقيمين معنا في القصر حتى تكونين في مأمن من الأعداء ؟

الثريا (تربت عليه) : شكرا ، لقد عرض علي أبي أن أقيم معه في قصره بباجه و لكني رفضت ، أريد أن أقضي ما تبقى من عمري بجوار والدك حتى الرمق الأخير ، أستودعك الله (قبل تبدا بالخروج يناديها)

أبو عبدالله : خالتي ....

الثريا : نعم .

أبو عبدالله : عندما تصلين إلى المنكب أرجوك أن تزوري قبر والدي و إطلبي منه ألا يسامحني البتة (يبكي) لأنني طوال عمري لم أكن رجلا بمعنى الرجولة و حاكما بمعنى الحاكمية و المسئولية ، و لم أستطع حماية بلدي الأندلس من الأعداء الإسبان لأنها ستسقط على أيديهم عاجلا أم آجلا بسببي ، أرجوك .

الثريا (تبكي) : سأفعل ، و سأقول له بأنك أنجبت الأسد الجسور الذي واجه سيلا جارفا من الأعداء بصدر عار ، شجاع يقهر المستحيل لا يخشى في الموت لومة لائم و أفضل منك يا عزيزي ، هذا ما سأقوله لأبيك (تخرج من الخشبة باكية و تترك أبو عبدالله في قصره باكيا على أنغام أغنية فيروز (جادك الغيث))

(تنزل الستارة)

المنظر الثاني

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة نفس الديكور السابق المتعلق بقاعة السفراء جنة العريف و فيه أيضاً أبو عبدالله متربعا على عرشه مهموما كسير الفؤاد و حاملاً بيسراه صندوق زوجة أبيه متأملاً إياه بحزن و كدر قبل أن يدخل عليه الحاجب بسرعة)

الحاجب : مولاي السلطان ..... مولاي السلطان .....

أبو عبدالله : ما وراءك أيها الحاجب ؟ لما تتلعثم في كلامك ؟ أفصح عما تريد و لا تتردد .

الحاجب : عفوك يا مولاي ، و لكن رأيتك واجماً و حزيناً فلم أود إزعاجك بهذا الضيف الثقيل الوافد علينا الآن .

أبو عبدالله : ضيف ؟! أي ضيف ؟!!!!

الحاجب : إنه مبعوث الملكين فيرناندو و إيزابيلا الكاردينال خيمينيس ديوسيساروس .

أبو عبدالله : معك حق ، لم يرسلا إلي سوى هذا المتعجرف النتن كي أقابله ؟ و أين ؟ في قصري ..... حسنا ، دعه يدخل .

الحاجب : أمرك مولاي (يخرج من الخشبة تاركا سلطانه يحدث نفسه)

أبو عبدالله : ما الحكاية ؟! لم يرسلوا إلي الماركيز أدولفو سلفاتوريس كعادتهم بل خيمينيس ؟!!!! يبدو أنهم قد شرعوا الآن بتهديدي و مساومتي بعدما إستيلائهم على التلة الأرجوانية ؟!!!! .....لطفك يا رب .

الحاجب (يدخل الى الخشبة و معه الكاردينال خيمينيس) : تفضل يا نيافتك ، مولاي بإنتظارك .

خيمينيس : حسنا ، هيا إنصرف أنت الآن (يخرج الحاجب من الخشبة مندهشاً و غاضباً من تصرفه) السلام على مولاي السلطان أبو عبدالله النصري .

أبو عبدالله : و عليكم السلام يا نيافة الكاردينال ، يبدو أنك لم تنس أصولك الأندلسية بتاتاً و تحديدا سرقسطة حيث لاتزال تعرف أسلوب التحية و الإستقبال عند المسلمين منهم كما تحييني بمنتهى آيات التقدير و التبجيل .

خيمينيس : يا مولاي ، إن الأندلس وطني الأصلي و مسقط رأس عائلتي منذ سنين و حبها لازال رابضاً في قلبي حتى آخر يوم في صدري .

أبو عبدالله : واضح ، و لكن يا ترى عن أية أندلس تتحدث ؟ فلم يبق منها سوى إقليم صغير يمتد من جبال البشارات أو السييرا نيفادا كما تسمونها حتى ساحل ضيق لا يسد رمق سكانها من إحتياجاتهم الأساسية ، أما ما تبقى فقد إلتهمه أسيادك الإسبان بسهولة .

خيمينيس : أقصد الأندلس القوية التي يحكمها الأقوياء الآن بعدما أخذوها عن جدارة و ليست الضعيفة كما ترى (يبتسم)

أبو عبدالله : الآن عرفت لماذا الملك فيرناندو بعثك رسولا إلي بدلا من صديقي الماركيز سلفاتوريس (يتوقف خيمينيس عن الإبتسام) لأن كلاكما يمارس لعبة العصا و الجزرة في التعامل مع الخصم ، فالأول يدعو إلى السلام و حسن الجوار ، أما أنت فتدعو إلى الحرب .

خيمينيس : مولاي ، أنا لم أهددك بالحرب .....

أبو عبدالله : عيناك هما من قالتا هذا و كشفتا عن مكنون صدرك دون أن تدري و لاسيما قولك للتو أنك تمثل الطرف القوي فيها .

خيمينيس : بما أنك يا أبو عبديل تعرف الغرض من مجيئي و مقصدي إليك ، فهلا سمحت لي بتلاوة رسالة مولاي جلالة الملك فيرناندو لجلالتكم ؟ إذا تفضلت طبعا بذلك .

أبو عبدالله : الآن ظهرت بشكلك الحقيقي .....هات ما عندك .

خيمينيس (يخرج الرسالة من جعبته و يبدأ بتلاوتها) : من جلالة الملك فيرناندو الثاني ملك أراغون و زوجته جلالة الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة المعظمين إلى جلالة السلطان أبو عبدالله محمد بن علي بن الأحمر النصري سلطان غرناطة الموقر ..... تحية طيبة و بعد

فإننا نعرض عليكم الصلح النهائي الذي سينهي الحرب الدائرة بيننا و بينكم منذ عقود طوال و تنشر السلام في أرجاء الجزيرة الإيبيرية و تعيد الحق الى أصحابه بعد طول إنتظار .....

أبو عبدالله : تقصد الإسبان (يتوقف خيمينيس عن الكلام) أكمل .

خيمينيس : نؤكد لحضرتكم بأن إسبانيا ليست ملكا لكم أيها الأندلسيون و إنها في يوم من الأيام ستعود إلى أبنائها المخلصين لها ، و من منطلق تأكيدنا الدائم في إنتصارنا الحاسم في هذه الحرب فإن جلالتنا نعطيكما فرصة لإثبات حسن نواياكم الطيبة تجاهنا و لاسيما أننا لا ننسى مواقفكم النبيلة و السامية في كثير من المناسبات السلمية التي لامسناها منكم أثناء توليكم ولاية العهد و المكونة من الضمانات التالية :

– التأمين على المسلمين في أنفسهم و أموالهم و عدم الإعتداء عليهم

– من حقهم الإحتفاظ بشريعتهم و قضاتهم

– إن من حقهم ممارسة شعائرهم الدينية

– أن تبقى المساجد حرما مصونة و محمية من الإنتهاك و الإعتداء و ألا يولى عليهم نصراني أو يهودي ليحكمهم

– السماح لأي منهم السفر الى المغرب متى شاء

وهذه الشروط تثبت حسن نيتنا و خلوها من أية نزعة إنتقامية تجاه مملكة غرناطة حكومة و شعباً ، في حال إذا قبلتم بها سلمتمونا المدينة بملء إرادتكم في مدة قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أيام ، و كفى كلانا شر القتال .

جلالة الملكين فيرناندو و إيزابيلا المعظمين (يطوي الرسالة)

أبـو عبـدالله : أهـذا الصـلح الـذي يريـده ملككـم لـيعم السـلام بيننـا مـن أجلـه ؟ و يريـد ردي الفوري عليه خلال ثلاثة أيام و بهذه السرعة ؟!!!

خيمينـيس : جلالتـه رجـل عملـي و مـتفهم و لا يحـب تضـييع الوقـت فـي أمـور محسـومة لـه سـلفا و لا تسـتحق التأجيـل و لاسـيما أنكـم قـد تعلمـون جلالـتكم أنكـم قـد لعبـتم جميـع أوراقكـم المختلفـة فـي هـذه الحـرب الضـروس و أنـتم علـى يقـين أنكـم الحلقـة الأضعف و الخاسر الأكبر فيها .

أبـو عبـدالله : أنـت محـق ، لقـد خسـرت جميـع أوراقـي فـي معمعتهـا القاسـية إلا واحـدة لم أستخدمها بعد .

خيمينيس (مستغرباً) : واحدة فقط ؟!!!! هل لي بمعرفتها جلالتكم ؟!!!!

أبـو عبـدالله : بكـل سـرور نيافتـك (يمسـك بالرسـالة بشـدة أمامـه) بقـي علـي أن أعـرض مضـمونها علـى جميـع وجهـاء غرناطـة فـي الإجتمـاع الـذي سـنعقده هـذا المسـاء حيث تستمر المداولات بين أعضائه مدة أسبوع على الأقل .

خيمينيس : و لكن جلالته يطلب الرد بعد ثلاثة أيام من .....

أبـو عبـدالله : لا تكفـي المـدة السـالفة الـذكر لمناقشـة مثـل هكـذا وثيقـة مجحفـة بحقنـا و مثيـرة للبلبلـة و الإضـطرابات وسـط المدينـة لأنهـا تهـدف إلـى تسـليمها للإسـبان ، و مليكـك يريـد الموافقـة بعـد ثلاثـة أيـام ؟ فلينتظـر حتـى تنتهـي إجتماعاتنـا حـول وثيقتـه المتعلقـة بالصـلح ليوافقـوا عليهـا ، هـذا إذا مـا وافقـوا أصـلا علـى وثيقـتكم الكريمـة هـذه .

خيمينيس : مولاي السلطان ، يبدو أنك لم تع الرسالة جيدا ، فعندما يقول جلالته بعد ثلاثة أيام يعني أي بعد ثلاثة أيام تعطيه الرد بالموافقة .....

أبو عبدالله : و إذا لم أرد عليه بعد ثلاثة أيام أو حتى لم أوافق على مبادرته البتة ، ماذا سيجري ؟

خيمينيس : إقتحام كاسح لجيوشنا الجرارة على مدينتكم لا تبقي فيها و لا تذر حجرا و لا شجرا و لا بشرا ، إنه لا يمزح في هذه الأمور بتاتاً .

أبو عبدالله : هكذا إذن ؟ حسنا ، إسمع يا خاييم الحائك .

خيمينيس : خاييم الحائك ؟!

أبو عبدالله : أليس هذا إسمك الحقيقي بالعبرية قبل رحيلك من سرقسطة إلى والبا حيث غيرت ديانتك من اليهودية الى المسيحية كمعظم أبناء ملتك الذين تعرضوا للإضطهاد على يد حكامها القشتاليين (يشير بيده) و يسميك على إثر ذلك ملكهم هنري الرابع كاردينالا رغم إعتراض الكثير من الأساقفة و الكرادلة على ذلك ؟ لتصبح على إثرها قريباً من عائلته و لاسيما شقيقته الصغرى المدللة الملكة إيزابيلا و بموجبها تتخلى عن هويتك الأندلسية من أجل نظيرتها الإسبانية بثمن بخس ، أليس كذلك ؟ (يصمت خيمينيس) لما سكت ؟ ألأنها الحقيقة ؟ ..... إسمع يا هذا ، إذا كان مليكك فيرناندو و زوجته يعتقدان إنهما أقوى مني و مدينتي المحاصرة لمجرد إستيلائهم على أسوارها الغربية حيث أصبحا قاب قوسين أو أدنى منها فهما مخطئان ، فمثلما أنا السلطان أبو عبدالله الصغير و أجدادي أوقفنا

حملاتهم الهادفة للإستيلاء على غرناطة و محيطها طيلة ١٤ عاما ، فأنا على إستعداد على إيقاف جيوشهم الجرارة كما تزعم مدة ٣٠ عاما لاحقة و إلحاق الهزائم بقواتهم الواحدة تلو الأخرى خلال هذه المدة و أكثر حتى و لو كلفني ذلك حياتي ، و أن نقاومهم بكل ما أوتينا من قوة حتى لو وصل الأمر إلى حرب طاحنة ضدهم في كل بيت ، و في كل شارع ، و في كل ربض و كل زقاق ، و في كل أرجاء مدينتا صخرة صلبة باسلة تتحطم عليها سفنكم العاتية ، و ما حدث في باب الخضراء يثبت ما قلته ، و قل له بألا يحارب الأسد الجريح قبل أن يلتئم جرحه ، و إذا كان يتفاخر بأنه سليل ملوك أراغون العظماء كما يعتقد ، فأنا ملك يمني الأصل و سليل الملوك الحميريين القحطانيين المشهورين بعنادهم الشديد الى حد الموت أو الكفر بالله إذا ما أصروا على أمر يشغل بالهم و تفكيرهم و حكمهم ثالث إمبراطورية في العالم بعد الفرس و الروم قبل الإسلام ..... هذا هو ردي لن نوافق حتى ننتهي من إجتماع وجهاء غرناطة بعد أسبوع و يعلنوا ردهم على الوثيقة ..... (يظل خيمينيس مذهولا قبل أن يصرخ عليه السلطان) ماذا تنتظر ؟ هيا إنصرف و أبلغ مولاك رسالتي تلك له ، هيا تحرك و إلا أمرت بضرب عنقك حتى يتأكد من ردي الحاسم نحوه ، بسرعة .

خيمينيس (يفزع) : حاضر يا مولاي (يخرج خيمينيس من الخشبة تاركا أبو عبدالله يمسك الرسالة بحالة من الغضب الشديد)

(تنزل الستارة)

المنظر الثالث

(تفتح الستارة)

(يظهر ديكور قاعة جنة العريف حيث جلس أبو عبدالله على عرشه بجواره قائد جيشه موسى بن أبي الغسان عن يمينه و والدته السلطانة عائشة عن يساره ، و يظهر على الخشبة وجهاء مدينة غرناطة بمن عليهم مضمون رسالة خيمينيس لهم)

أبو عبدالله (يطوي الرسالة و يسلمها لموسى) : هذا ما يريده ملكي إسبانيا فيرناندو و إيزابيلا ليتم الصلح أو بالأحرى إنهاء الحرب بيننا .

الوليد : مقابل تسليمنا مفاتيح المدينة له .

أبو عبدالله : أجل ، هو بعينه .

عائشة : و بما أجبته يا ولدي ؟

أبو عبدالله : قلت له القرار ليس قراري ، بل هو قرار الأمة الأندلسية أو ما تبقى منها في غرناطة الصامدة في تحديد مصيرها ..... إما الصمود و المقاومة و إما الإستسلام لشروطهم .

مفتى السلطنة : أحسنت صنعا يا مولاي .

أبو عبدالله : فما رأيكم ؟

موسى : رأينا واضح طبعا يا مولاي ، نقاتلهم حتى آخر رجل منا .

الوليـــد : تحـــدث عـــن نفســـك أيهـــا القائـــد ، فلـــيس الجميـــع يمشـــون علـــى منوالـــك و لا يتفقون معك على ذلك الخيار .

موســـى : هـــذا طبيعـــي ، فأنـــت و نظرائـــك مـــن تجـــار غرناطـــة لا يهـــم ســـوى الحيـــاة الـــدنيا و متاعها من مال و أملاك تخافون عليها أكثر من كرامة مدينتكم .

الوليـــد : بـــل لأنـــك لـــم تقـــرأ الوثيقـــة جيـــدا و المكاســـب التـــي ســـتحافظ علـــى كرامـــة المدينـــة و سكانها .

موسى : مكاسب ؟! أية مكاسب ؟!!!!

صـــالح : الضـــمانات الســـتة لحمايـــة ســـكان مدينـــة غرناطـــة و أعراضـــهم و ممتلكـــاتهم و دور عبادتهم و معتقداتهم و أموالهم و حرية التنقل فيها ، أليست هذه مكاسب ؟

موسى : تقصد الفخ الذي ينصبه لنا الأعداء حتى نقع في شراكهم لا محالة .

صالح : بحق الله يا هذا ، أمازلت تصدق هذا الهراء ؟

موسى : هراء ؟ أتسمي الحيطة و الحذر من مؤامرات الأعداء لنا هراء ؟

الوليـــد : و أكثـــر مـــن هـــراء ، لقـــد ســـئمنا مـــن نظريـــة المـــؤامرة التـــي أوجعـــتم عقولنـــا بهـــا و لاسيما أنك تخفي عنا تواطؤك في سقوط التلة الأرجوانية على يديك .

موسى : لا أسمح لك بهذا الإتهام ، فسقوطها لم يحدث إلا بسببكم .

شـــيخ عبـــدالقادر : بســـببنا ؟ لأننـــا نخالفـــك الـــرأي تتهمنـــا بالخيانـــة و أنـــت المســـئول

الوحيد عن سقوط جزءا من أراضي غرناطة و بمنتهى الخيانة ؟ لذا أنت الذي تتآمر على غرناطة و سكانها و يجب أن تعاقب .

عائشة : ليس وحده من سيعاقب ، يا وليد و أنتم معه أيضاً .

الوليد : نحن معه ؟!! مولاتي السلطانة عائشة ماذا تقصدين ؟!!!!

عائشة : ستعرف الآن أيها الوليد ..... (تصرخ منادية) أيها الحاجب (يدخل الحاجب الى الخشبة مسرعا نحوها) أحضر الأوراق المذكورة آنفا .

الحاجب : أمرك مولاتي (يخرج الحاجب من الخشبة أمام إستغراب الوليد و صالح)

الوليد : أية أوراق تلك التي تتحدث عنها مولاتي السلطانة ؟

صالح : لا أعرف (يدخل الحاجب الى الخشبة مجددا و بجعبته رزمة من الأوراق و يقدمها للسلطانة الأم التي ما إن أخذتهم من يده حتى نهضت و إتجهت نحو الوليد)

عائشة : هذا محضر التحقيق الذي أجراه موسى بن أبي الغسان مع جنديين من جنود قلعة المراقبة في التلة الأرجوانية قبل سقوطها بأسبوعين تثبت بأنك و صالح رشوتموهما بالمال حتى يسمحوا بإقتحام قوات الإسبان للأسوار الغربية للمدينة و ينسحبوا منها حتى يحلوا محلهم دون أن يدري أحد بذلك و كان من بينهما نائب قائد الحامية الذي إعترف بكل شيء .

الوليد (يحاور نفسه) : تباً لك يا إبن السافلة ، فوق ما أعطيت ثقلك ذهبا تغدر بي ..... غير صحيح يا مولاتي ..... إإنه إفتراء و كذب من قبل هذا الرجل ، صدقينا .

صالح : أجل ، صدقينا .

عائشة (تخرج ورقة أخرى) : و صك ملكية أرض الزيزفون في ربض الحنائين جنوب المدينة و الذي كتبتها بإسمه كذب و إفتراء أيها الوليد ؟ (يصمت الوليد ثم تخرج ورقة أخرى) و لقاءاتك المتكررة يا صالح مع مساعد الملك فيرناندو القائد غونزاليز كما أخبر حراس باب الفيحاء ولدي السلطان بتاريخ ١٢ من رجب عام ٩١٣هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٤٩٢م أهذا كذب أو إفتراء ؟ (تطفأ الأنوار لدقيقة و تضأ على ركنها الأيسر دائرة ضوئية يظهر فيها صالح و غونزاليز و إبن عبدون ، ثم تضأ الأنوار مجددا و يسكت صالح) ما بك صمت ؟ تكلم ؟ ..... ألأنني أقول الحقيقة ؟ (تتجه ناحية الشيخ عبدالقادر) و أنت يا شيخ عبدالقادر يا وكيلي على ممتلكاتي و كاتم أسراري (ترفع أحد الأوراق في وجهه تصرخ) من أعطاك الحق حتى ترهن نصف الأراضي المملوكة في بساتين الغالب بالله القريبة من باب الخضراء و تسلمها ملكيتها للملكة إيزابيلا ؟ هيه ؟

أبو عبدالله : ماذا ؟!! (تطفأ الأنوار مجددا و تضأ دائرة ضوئية تظهر فيها الشيخ عبدالقادر مع الملك فيرناندو و الملكة إيزابيلا) أنت ؟!!!

شيخ عبد القادر : ممممولاي ، إنها مكيدة من أعدائي تهدف للإيقاع بيني و بين

جلالتكم ، هه هه فهل يعقل أن أغدر بمولاتي و ولية نعمتي السلطانة عائشة ؟

عائشة : بالطبع يا خادمي الأمين (ترفع الورقة و تريه) فصك البيع الذي بيدي يثبت ذلك ؟ أليس هذا توقيعك ؟

شيخ عبدالقادر (يحاور نفسه و يضرب رأسه) : يا إلهي ! الرقعة الذهبية ؟!

عائشة : أرأيت أن ما قلته صحيح ؟ و مقابل ماذا ؟ مقابل إحتكار تجارة الأقمشة لصالحك ؟

أبو عبدالله : يا إلهي (يغطي عينه ثم يبعدها) و هل إقتصرت هذه الأوراق على هؤلاء يا أمي فقط ؟

عائشة : ليس هم فحسب ، هناك العديد من الأوراق التي تدين مفتي السلطنة و شيخي اليمنية و القيسية و نقيب الأشراف و الأسقف تلافيرا و الحاخام يشوع و .....

جميع الوجهاء : مولاتي ؟!!!

أبو عبدالله : دعوها تكمل (والدته تصمت عن الكلام) ما بك صامتة يا أمي ؟ أكملي ، و قولي أسماء الخونة الذين باعوا هذه المدينة بأبخس الأثمان ؟

عائشة : لا لا أبداً ، لقد إنتهيت من ذكرهم يا بني .....

أبو عبدالله : أمي ! لا داعي للكذب و الإنكار ، أنت لم تذكري الجميع .

عائشة : أنا لم أكذب ، لقد ذكرتهم بالفعل جميعا .

أبو عبدالله : غير صحيح ، لقد قرأت هذه الأوراق و الرقاع قبل أن تصل إليك (والدته تندهش) أجل يا أمي ، أتظنين أن ليس لي علم بكل صغيرة و كبيرة تحدث في هذه المدينة ؟ أنت مخطئة ، أضيف على ما سبق أن من بين من خانوها أنا و أنت و أبي و عمي و أنت يا موسى و غيرهم من الناس البسطاء و العامة الذي لا يتسع المجال لذكرهم .

موسى : هذا موجود في الرقاع يا مولاي ؟!!!

أبو عبدالله : نعم يا موسى ، كل ما في الأوراق التي قرأتها أمي صحيح مائة بالمائة (ينهض) و أنا الذي كنت مترددا حتى تلك اللحظة من عرض الوثيقة على سكان غرناطة خشية ألا يوافقوا عليها فأكتشف أن نصفهم خائن و متواطئ مع الإسبان ، و أن مصير بلادي سيكون كمصير القسطنطينية التي وقعت لتوها على يد العثمانيين قبل ما يزيد عن أربعين عاما ، سيما و أن هذه الأوراق التي بحوزتي تحمل الصفة الرسمية دون شك و صادرة من رجال الشرطة و العسس و العيون التابعين ل ..... هه ..... لحكومتنا الرشيدة لأكتشف أن كل واحد منا نحن سكان غرناطة الباهية الجمال – مسلمون و مسيحيون و يهود – عرباً و عجماً – يمنيون و قيسيون و هاشميون – حكاماً و شعباً – مدنيون و عسكريون – فقراء و أغنياء و من كافة الطبقات و الأطياف لم يعد يهمه سوى مصلحته الشخصية فقط .

موسى : مولاي .....

أبو عبدالله : حسبك يا موسى ، دعني أكمل ..... (ينظر الى وجوه الوجهاء) ألهذا الحد مستعدين للتضحية بما تبقى من الأندلس مقابل حفنة من ذهب الدنيا الزائلة أم أنكم قررتم ذلك بملء إرادتكم و تريدون تحمل نتيجته مهما كان الثمن ؟ ..... لا تريدوا الإجابة ، حسنا ، و أنا لن أكون أفضل منكم فأنا مسئول عما حدث لبلدي و يجب أن أتحمل خطئي مهما كان الثمن (يضرب بقبضته على الكرسي) لذا فأنا السلطان أبو عبدالله محمد بن علي بن الأحمر النصري آخر سلاطين غرناطة و بموجب السلطة المخولة لي قررت الموافقة على الوثيقة شكلا و مضمونا .

موسى : مولاي ....

أبو عبدالله (يسكته) : و تسليم المدينة لملكي إسبانيا فيرناندو و إيزابيلا بعد صباح الغد .

عائشة : ما هذا الذي تفعله بني ؟ ليس من حقك إنه حق الرعية .....

أبو عبدالله : عن أية رعية تتحدثين يا أماه ؟ كل فرد مشغولين بأمورهم الخاصة منذ سنوات عديدة فهل ستهمهم مصلحة غرناطة الآن ؟ هذا قرار نهائي و لا أريد أي إعتراض منكم ، مفهوم ؟ بعد غد سنبدأ الإجراءات بخصوص ذلك ..... أيها الحاجب بلغ مبعوثنا إلى الملك فيرناندو أبو الطيب المجريطي بقرارنا هذا ليرسله الى ملك الإسبان الآن ، هيا تحرك .

الحاجب : أمرك (يخرج من الخشبة)

عائشة : بني أرجوك ، أعد النظر في قرارك .....

أبـــو عبـــدالله : لا تحـــاولي يـــا أمـــاه ، لقـــد فـــات الأوان علـــى التراجـــع و ســـبق الســـيف العـــذل (موسيقى صاخبة وقورة)

(تنزل الستارة)

المنظر الرابع

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور قاعة جنة العريف في قصر الحمراء مجددا و فيه أبو عبدالله مع والدته)

عائشة : هل يمكنك أن تفسري لي ما الذي فعلته البارحة بحق الجحيم ؟...

أبو عبدالله : أمي ! لقد فعلت الصواب الذي كان ينبغي فعله منذ زمن طويل .

عائشة : و الصواب أن تسلم بلد أجدادك و أحفادك لأعدائنا الإسبان ؟

أبو عبدالله : إن لم أفعل ذلك فسيسلمها أحد الخونة الذين ذكرتهم البارحة لهم (مشيرا بيده نحوها) بمن فيهم أنت يا أماه ستسلمينها لهم كما فعلت في السابق .

عائشة : ألهذا الحد لا تثق بي ؟

أبو عبدالله : لم تعد المسالة متعلقة بالثقة بقدر ما هي متعلقة بتغليب مصالحنا الشخصية على حساب مصلحة الوطن الذي ننتمي إليه ، فأنت ضحيت به و تعاونت مع الإسبان من أجل أن أصل إلى العرش على حساب أخي عمر و عمي الزغل و أبي السلطان أيضاً و حتى لا تحصل ضرتك الثريا على أي شيء مع العلم أنها كانت تحبك و تحترمك و تواظب على زيارتك و تسأل على أحوالك ، بل إنها قدمت كل أملاكها لك حتى تشتري السلاح من تجار جنوا ، و قدمت لك الأوراق التي كشفت الخونة الأساسيين المذكورين البارحة ، أنا شاركت أيضاً في هذه الخيانة

و عقدت إتفاقيات مجحفة بحق بلدي من أجل إبقائي على العرش مدة أطول ، و الوليد و صالح و شيخ القماشين عبدالقادر التجيبي ضحوا بها من أجل فرض سيطرة إنتماءاتهم اليمنية و القيسية عليها ، و مفتي السلطنة ضحى بها سعيا وراء الإنتقام من والدي لإضطهاده و سجنه و تعذيبه بسبب رفضه مباركة زواجه من زوجته الثانية و لصلته الخفية بعمي الزغل كعين له عليه ، أما الأسقف تلافيرا فقد ضحى بها من أجل المسيحيين الذين غالبيتهم من الإسبان ، و الحاخام يشوع ضحى بها من أجل مصالح أتباع الديانة اليهودية فحسب ، و العامة ضحوا بها من أجل أن يتحرروا من القمع الإستبدادي الديكتاتوري لحكم عائلتنا الحاكمة و يخرجوا من الحصار الخانق المفروض عليهم من قبل الأعداء و الذين يحملوننا مسئوليته الكاملة ، أما الأغنياء فضحوا بها سعيا وراء التحرر من الضرائب الباهظة المفروضة من قبلنا عليهم ..... و غيرهم من الناس في مدينتنا الذي يبرهنون كل يوم لنا بأنهم لم يعودوا قادرين على تحمل هذه الأوضاع السيئة التي تمر بها غرناطة الآن .

عائشة : و لأن الناس لم يعودوا قادرين على التحمل و يسعون مضطرين للغدر بوطنهم نسلمه للأعداء على طبق من ذهب ؟

أبو عبدالله : أجل يا أماه ، لقد قررت أن أتحمل كامل المسئولية عن ضياع آخر جزء في بلدي الأندلس لوحدي .....

عائشة : إنه ليس وطنك وحدي ، بل هو ملك لجميع الأندلسيين عامة و الغرناطيين خاصة و لا يحق لك التصرف به دون إذن منهم .....

أبو عبدالله : بل من حقي يا أماه من حقي ، فإن لم أقدم على ذلك سيقوم شخصاً آخر من الخونة السالفي الذكر بفتح الطريق أمام الأعداء لإخضاعها بالقوة و إرتكاب المذابح بحق سكانها العزل .

عائشة : على الأقل عن طريق هؤلاء الخونة و ليس عن طريقنا .

أبو عبدالله : أهذا ما يهمك ؟ عدم تلطيخ إسم عائلتنا بعار الخيانة و التفريط بغرناطة للأعداء ؟ أقول لك البلاد ستسلم للأعداء على طبق ذهب سواء عن طريق الخونة أم عن طريقنا و أنت يهمك شرف عائلتنا الضائع منذ مئات السنين ؟

عائشة : أذن أخبرني بالسبب الحقيقي الذي يجبرك على تسليمها لهم ؟

أبو عبدالله : ما الذي يجبرني ؟ الذي يجبرني على ذلك بأنني سلطان غرناطة الأخير و مسئول عن رعيتها كامل المسئولية سواء أخطأت بحقها أم أصبت ، سواء دافعت عني أم غدرت بي ، سواء تخلت عن هويتها أم لا ....

عائشة : ماذا تقصد بتخلي الرعية عن هويتها ؟ هل تعني بأن الناس ليس لديهم ولاء للهوية الأندلسية ؟

أبو عبدالله : بل قولي أنهم لا يعرفون ماذا تعني الهوية الأندلسية .

عائشة : ماذا تقصد ؟

أبو عبدالله : أتعرفين ماذا أقصد ؟ (يمسك بيد أمه) لأننا نحن الأندلسيون لم نعرف الولاء لهوية الأرض التي ولدنا و نشأنا فيها منذ أن وطأ طارق بن زياد بقدميه

فاتحا هذه الأرض و نحن لا نعرف سوى الولاء لهوياتنا القبلية و العرقية و الدينية و القومية على حساب الهوية الأندلسية ، و هذا طبيعي لأننا عشنا في أرض ليست بأرضنا .

عائشة : ما هذا الكلام الذي تتفوه به ؟ هذه الأرض ليست بأرضنا ؟! لابد أنك تمزح ؟ .....

أبو عبدالله : أنا لا أمزح يا أمي إنها الحقيقة .

عائشة : أية حقيقة ؟! ما هذه الحقيقة التي تنكر أرومتنا المرتبطة بهذه الأرض التي ولدنا و نشأنا فيها جيلا إثر جيل لدرجة أننا إنصهرنا فيها ؟

أبو عبدالله : و ما فائدة كل هذا و نحن لم ننصهر في بوتقة السكان الأصليين أبداً بل و الأسوأ من ذلك فرضنا هويتنا العربية عليهم ، إضافة الى إستئثار العرب بحكم هذه البلاد و ثرواتها و خيراتها الطبيعية دون غيرهم بمبررات دينية مستوحاة من ديننا الإسلامي كقرشية الخلافة كما حدث في عهد الدولة الأموية ، إلى جانب الحروب الدائرة بين القيسية و اليمنية تارة و بين البربر و الصقالبة تارة أخرى جرت على أراضيها و سهولها و جبالها الخضراء التي إرتوت بدمائهم العابثة ، و حرمان سكانها الأصليين من الوصول حتى إلى كرسي الحكم أو الوزارة و تقولين بأننا إنصهرنا فيها ؟

عائشة : أبسبب هذه الأشياء التافهة سيطردوننا من بلادنا و نحن عاملناهم أحسن معاملة قل نظيرها عند غيرهم من الغزاة فيجازونا جزاء سنمار ؟

أبو عبدالله : حتى و لو أحببناهم كإخواننا أو أبنائنا فنحن في نهاية المطاف غرباء ، غرباء ، غرباء ، فضلا على أننا حاولنا تهميشهم و التأثير على خصوصيتهم الثقافية و الدينية ، ألا تفهمين ؟

عائشة : و لكن ..... (قبل أن تكمل يدخل الحاجب الى الخشبة بسرعة)

الحاجب : السلام عليكم يا مولاي .

أبو عبدالله : و عليكم السلام ....

عائشة (تصرخ) : ماذا تريد يا هذا ؟! ألا ترانا مشغولين ؟!!!

أبو عبدالله : أمي ، أنا الذي إستدعيته الى هنا ، فهدئ من روعك ..... هل أبو الطيب المجريطي ينتظر في الباب ؟

الحاجب : نعم يا مولاي .

أبو عبدالله : أدخله (ينادي الحاجب على أبو الطيب الذي ما إن سمع النداء حتى دخل من فوره الى الخشبة) أهلا بك يا قائد حرسنا الخاص ، كيف حالك ؟

أبو الطيب : بخير و الحمد لله و برعايتك و حفظك لي .

أبو عبدالله : لا داعي للمبالغة ..... أخبرني ، هل أرسلت رسالتي للملك فيرناندو ؟ .

أبو الطيب : نعم يا مولاي .

عائشة : و ماذا كان رده ؟ إياك أن تقول أنه وافق .

أبو عبدالله : أمي ؟!

أبو الطيب : هو ذاك يا مولاتي السلطانة ، و قال لي بأنه سيعطي لجلالتكم فسحة من الزمن بحوالي أسبوع لتعدوا أنفسكم للرحيل و تدبير اللقاء الذي بموجبه ستسلم مفاتيح مدينتنا له .

عائشة : كيف تجرؤ على .....

أبو عبدالله : حسنا يا أبو الطيب ، يمكنك الإنصراف (ينصرف أبو الطيب من الخشبة أمام دهشة أمه)

عائشة : كيف تسمح له بالخروج ؟ إنه يهذي بهراء عن رحيلنا من غرناطة .

أبو عبدالله : هذا صحيح يا أمي ، لقد نسيت أن أخبرك بأن الإتفاقية تتضمن بين بنودها رحيلنا من بلدنا في حال إذا وافقنا على الوثيقة تماما .

عائشة : و لكني لا أريد الرحيل من هنا .....

أبو عبدالله : لكني أريد ، لذا أمرت الخدم و الحشم بإعداد أمتعتك و أمتعتي و أمتعة ولدي عبدالله كي نستعد للسفر بعد أسبوع ..... (تصمت متفاجئة) أيها الحاجب .

الحاجب : لبيك يا مولاي .

أبو عبدالله : إستدعي ولدي عبدالله الى هنا حتى يلقي النظر الأخيرة على عرش

أجداده قبل أن يرحل .

الحاجب : أمرك يا مولاي (ينصرف من الخشبة تاركا السلطان و والدته عائشة حزينين واجمين قبل مجيئ الحاجب إليهم قادما من خلف خشبة المسرح و معه ولد صغير في سن الثامنة من عمره)

الحاجب : لقد أحضرت نجلكم يا مولاي .

أبو عبدالله : حسنا ، يمكنك الإنصراف الآن (يخرج الحاجب من الخشبة) تعال يا ولدي العزيز تعال ، تعال إلى حضن أبيك الرؤوم (يحتضنه بشغف و حنان) سأجلسك على العرش يا عزيزي لتمتع ناظريك به و بما حوله للمرة الأخيرة قبل ان نرحل من هنا .

عبدالله : نرحل من هنا ؟! إلى أين ؟!!

أبو عبدالله : إلى إحدى قصور عائلة أجدادك النصريين التي إقتنيناها في فاس بالمغرب .

عبدالله : و بعد أن نذهب إلى هناك هل سنعود إلى هنا مجددا يا أبي ؟

أبو عبدالله : بلى سنعود يا بني ، هذا إذا عدنا إليها أساسا (السلطانة عائشة تجهش بالبكاء)

(تنزل الستارة)

المنظر الخامس

(تفتح الستارة)

(نفس الديكور السابق و يظهر فيه أبو عبدالله مع والدته الغاضبة لدرجة أنها لم تعد أمتعتها بعد)

أبو عبدالله : إلى هذا الحد يا أمي أنت غاضبة جدا مني ؟ لدرجة أنك لست مستعدة للرحيل معي الى المغرب حيث تقع فيها بعضاً من أملاكنا هناك ؟

عائشة : و ماذا تريد أن أفعل ؟ أن ألبي أوامرك و أقول لك السمع و الطاعة ؟ أهذا ما تريده يا سلطاننا المعظم ؟

أبو عبدالله : كلا يا أمي ، أنا .....

عائشة (تصرخ) : أنت ماذا ؟!!! خلال دقائق أمرت الخدم و الحشم بإعداد كل شيء على وجه السرعة لكي نسافر على الفور و مازال أمامنا مهلة أسبوع بأسره إستعداداً للرحيل فلما العجلة ؟!!!!! ..... ثم كيف تقدم على مثل الخطوة دون أن تستشيرني بعدما كنت فيما مضى لا تقوم بأي أمر دون إستشارتي .....

أبو عبدالله : تقصدين دون إذنك حيث كنت تسيرين شئون الحكم من وراء حجاب تحركينني كيفما شئت ؟ خيال ظل لا حول له و لا قوة ، أليس كذلك ؟

عائشة : إذن ، فأنت تنتقم مني ؟

أبو عبدالله : أنتقم منك ؟!! (يضحك) لماذا ؟!! أمازلت تحسبين نفسك

السلطانة الأم و أنا سلطان غرناطة المعظم ؟!!! أفيقي يا أماه ، أفيقي (يشير إلى نفسه) فبعد أسبوع فقط ولدك الواقف أمامك الآن سيصبح بلا عرش و بلا مملكة و سلطانا على سراب (يشير إليها) و أنت ستصبحين إمراة عادية من علية القوم دون تبجيل أو تقدير مبالغ فيه لك من قبل الناس كما في الماضي ، و تقولين أنتقم منك ؟ على ماذا ؟ على سراب ؟ ..... ثم لما أنت مصرة على البقاء هنا ؟!!! هل هناك أشياء خاصة بك فاتتك و تريدين إستعادتها ؟

عائشة : الكثير منها ، على أن أزور قبور أجدادي و أجدادك من عائلة بني الأحمر و أزور قبر والدك في المنكب و أيضاً أدعوا زوجته الثريا للرحيل معي .

أبو عبدالله : هوه هـ هـ هـ ، أرى أن علاقتك بضرتك قد تحسنت كثيراً ، هل أفهم من ذلك بأنك بت تحبينها كثيرا ؟!

عائشة : ويحك يا ولد ؟ أهي رجل حتى أحبها ؟ صحيح أنني صرت أكن لها المحبة و الود أكثر من ذي قبل ، و أصبحت بمثابة أختي الصغيرة و لاسيما بعد تقديمها لك ميراثها كي تنفقه على جيشك و لي الأوراق التي تدين خيانة العديد من وجهاء غرناطة لصالح الإسبان ، إلا أن زياراتها الكثيرة و عيادتي المتواصلة لي خلال إصابتي بالكلى لدرجة إنها تبرعت بإحدى كليتيها لي جعلني أحبها حب العبادة .....

أبو عبدالله : لم تخبرني بهذه القصة يا أمي ؟!!!

عائشة : طلبت مني أن أكتم سرها حتى عليك أنت .

أبو عبدالله : لماذا يا أمي لماذا ؟ ألا تعرفين بأنهت لا تزال شابة صغيرة ؟ و مثل هذه العمليات قد تودي بحياتها ؟ (فجاة يدخل إبنه عبدالله إلى الخشبة مندفعا نحوهما) .

عبدالله : أبي ، أبي (يرتمي في حضن والده) لقد أصبحت جاهزاً للسفر .

أبو عبدالله (يرفعه) : أوه حبيبي ، إشتقت لك (قبله) قلت أصبحت جاهزاً للسفر ، هيه ؟

عائشة : أترك حفيدي لي يا ولد (تأخذ من أبيه) أوه يا حبيبي (تتحسس بيمناها وجهه و شعره) بسم الله ما شاء الله ، سبحان الله ..... إنك جميل جدا جمال والدتك الراحلة (أبو عبدالله يشعر بالوجوم و يبدأ بذرف الدموع) .

عبدالله : ألهذا الحد كانت أمي جميلة ؟

عائشة (تبكي) : و أكثر يا بني .

عبدالله : يقول لي الخدم بأنها في الجنة ، صحيح ؟

عائشة : نعم يا ولدي إنها في أعلى مراتب جنة الخلد يا ولدي ، أدعوا لها بالخير يا بني (ترفع يديها) هكذا – يا رب .

عبدالله : يا رب .

أبو عبدالله (يرى والدته تبكي) : الآن تبكين بعدما عاملتها معاملة الجواري و أجبرتها على الزواج مني ؟ أهو تعبير عن الندم أم تكفيرا عن سيئاتك ؟

عائشة : بني أرجوك ، توقف ، أتوسل إليك ....

أبو عبدالله : تتوسلين إلي ؟! لماذا ؟!!!! ..... (فيدخل الحاجب سريعا الى الخشبة قاطعاً حديثهما)

الحاجب : مولاي السلطان .

أبو عبدالله : ما وراءك ؟! لما لا تستأذن علينا بالدخول ؟!!

الحاجب : حاشا لله يا مولاي ، و لكن قائد الجيش موسى بن أبي الغسان مصر على الدخول رغم أوامرك المتشددة بخصوص ذلك .

أبو عبدالله : أدخله بسرعة ، هيا (ينصرف الحاجب الى خارج الخشبة لتلبية الأمر) أمي ، هلا أخذت معك ولدي عبدالله و ذهبتما الى جناحكما لدقائق ؟

عائشة : حسنا يا بني (تأخذ حفيدها عبدالله و تخرج من الخشبة ، في نفس الوقت يدخل موسى على إبنها السلطان)

موسى : السلام عليكم يا مولاي السلطان .

أبو عبدالله (يحتضنه) : و عليكم السلام يا موسى ، لقد إشتقت لك كثيرا بعد ذهابك الى مولاي حسن و التي يبدو أنك عدت منها اليوم ..... تفضل بالجلوس ، فنحن الى حديثك متلهفون .....

موسى : عفوك يا مولاي ، فلا يمكنني الجلوس و الحديث معك أبداً .

أبو عبدالله : لا تريد الجلوس معي ؟!! لماذا ؟!!!

موسى : لأني جئتك مودعا .

أبو عبدالله : ماذا تقصد بأنك جئتني مودعا ؟!!!! .... آه ، إياك أن تقول .....

موسى : بلى يا مولاي ، لقد قررت الرحيل .....

أبو عبدالله (يصرخ) : لماذا ؟!!!

موسى : لأنني و أسرتي لا نريد أن نقيم في مدينة بات جنود الإحتلال الإسباني يدوسونها بأقدامهم القذرة جيئة و ذهاباً في أحيائها و أزقتها و نحن الذين حاربناهم مدة ٢٠٠ سنة جيلا بعد جيل .....

أبو عبدالله : و سلطانا بعد سلطان ، و ماذا بعد ؟ هل إنتصرنا عليهم إنتصاراً كاسحاً ؟ هل طردناهم من بلادنا طوال هذه السنين ؟ هل طردناهم من إشبيلية ؟ من قرطبة ؟ من طليطلة ؟ هيه ؟ بل أننا لم نحرر شبرا واحدا من هذه الأرض برا أو بحرا حتى تقول أننا حاربناهم .....

موسى : و لكن يا مولاي كان بإمكاننا مواصلة الحرب ضدهم و إجبارهم على الإنسحاب من أسوار غرناطة لأنهم باتوا ضعافاً إقتصاداً و تسليحاً بعد معركة باب الخضراء ، و بموافقتنا على هذه الوثيقة أنقذناهم و جعلناهم في موقف المنتصر لا المهزوم .....

أبو عبدالله : و لما لم تقل رأيك خلال مناقشة الوجهاء للوثيقة و محتوياتها منذ

البداية ؟

موسى : لقد قلت رأيي في هذه المسألة .....

أبو عبدالله : قلته بعد ماذا ؟ بعد أن صادقنا على الوثيقة و وافقنا عليها ؟

موسى : أعرف و .....

أبو عبدالله : إذن ماذا ؟ تكلم ؟

موسى : ما كان عليك يا مولاي أن تصدر قرار التسليم بهذه السرعة و أنت .....

أبو عبدالله : و أنا ماذا ؟ ماذا كان عساي أن أفعل ؟ أن أقف ضد رأي الأغلبية و العامة و أرفض تسليم المدينة للأعداء ؟ ..... (يشير بيده) و حتى و لو رفضت الوثيقة رغم إجماع أهل غرناطة على الموافقة عليها و هذا من حقي و لن يعترض عليه أحد منهم بإعتباري سلطان البلاد و أمير المؤمنين و أعلنت الحرب مجددا ضدهم ، هل تعتقد أننا سننتزع النصر من أنياب الثعبان الإسباني بمنتهى السهولة ؟ و هل سيصمد أهلنا في مواجهتهم من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة ؟ ألم تقدر حجم إمكانياتها العسكرية مقابل نظيرتها لدى العدو أيها القائد العسكري البارع ؟ ينقصنا الكثير من العتاد و العدة لمواجهتهم المقبلة ألا تعلم بذلك ؟ إضافة إلى أنه لا أحد من المسلمين و العرب معنا ، فكل يغني على ليلاه أما هم فوراءهم بابوية روما و معها نصف الدول الأوروبية تقف معهم بجيوشهم و أموالهم ..... و غيرها من الأمور التي ستحول الإنتصار عليهم في هذه الحرب المقدسة الى ضرب من المستحيل المحقق الذي لا جدوى من مقاومته و الذي سيؤدي إلى الإبادة

الجماعية لشعبنا ألم تفكر بذلك ؟

موسى : بلى فكرت ، لكنني في النهاية مواطن أندلسي و أنا لا يرضيني يقع وطني بيد الإسبان الكفرة الذين سيقتلون أطفالنا و يسبون و يغتصبون نسائنا و يقتلون شيوخنا ، مقابل ماذا ؟ لأنهم الأقوى ؟ أفضل أن يموتوا شهداء في سبيل الله و الوطن خير من أن يموتوا تحت نعال هؤلاء الأوغاد .....

أبو عبدالله : ففي نهاية المطاف ستسقط غرناطة بأيديهم سواء إستشهدوا دفاعاً عنها أم قتلوا على يد المحتلين ، و هذا دليل على أننا لن ننتصر عليهم ، هل فهمت أيها الساذج ؟

موسى : لكنك نسيت يا مولاي إن إيماننا العميق بالله عز و جل سيرجح كفة النصر لنا على حسابهم ، فقط الإيمان بالله و بقدرته سوف يحقق لنا النصر الساحق دون شك .....

أبو عبدالله : إفترض أنه رغم إخلاصنا الشديد له و إيماننا العميق به الآن نصر أعدائنا في النهاية بدلا من أن ينصرنا ؟ ماذا دهاك يا موسى ؟ أتظننا في عهد الرسول (ص) حيث كان يأتيه المدد المبارك من الله عز و جل في كافة غزواته التي خاضها خلال حياته المباركة ؟ أفق يا موسى أفق ، لقد ولى زمن المعجزات إلى غير رجعة ، فلو كانت الدعوات و الصلوات و النفحات الإيمانية التي تشبع بها سكان غرناطة ذكوراً و إناثاً تفيدنا في المعارك لكُنا إنتصرنا و حررنا الأندلس ليس غرناطة فحسب من دنسهم و نتنهم منذ البداية بين ليلة و ضحاها و لما أقدموا على تسليم

مدينتهم الطاهرة لهم بهذا اليسر و التهاون (يمسك بذراعي موسى) أفق يا موسى أفق ، أصبحت المعارك الحربية تقاس نتائجها بنجاح التخطيط العسكري لها من قبل الطرفين و ليس بمدى روحانية الجندي و قوة إيمانه و شجاعته العسكرية و إستبساله في القتال ، و أنت قائد عسكري و تعرف ذلك ، و تعرف أيضاً بأن زمن الفرسان و المعجزات قد ولى يا عزيزي .....

موسى : أعرف يا مولاي (يبكي) لكنني أندلسي قبل كل شيء و لا يرضيني أن يكون سقوطها بيدك عبر تسليمها لقمة سائغة لهؤلاء الأوغاد ، لماذا ؟

أبو عبدالله (يحتضنه باكيا) : لأنني السبب يا موسى ، أنا الذي من فتح أبواب المدينة لهم مراراً و تكراراً خلال سعيي للإستيلاء على العرش فعرفوا مداخلها (يبتعد عنه) و أنا الذي سلمتهم المدينة بسهولة دون قيد أو شرط (فيخرج خنجره من غمده المربوط حول خصره و يقدمها إلى موسى المتفاجئ) إذا أردت أن تعاقب المسئول عن سقوط غرناطة بأيدي أعدائك ، فها هو أمامك (يفتح صدره) أغرز خنجره على صدره الآن ، هيا (يتردد موسى متفاجئا) ما بك صامت متردد ؟ هيا أقتلني ، أقتل السلطان الذي تسبب بضياع ملك أجداده لأعدائه ؟ هيا (يصرخ ممسكا بالخنجر مصوباً نحوه) هيا ، هيا .

موسى (يسقط الخنجر من يده باكيا) : لا أستطيع يا مولاي ، لا أستطيع ، أتعرف لماذا ؟ لأنك لست المسئول الوحيد عن سقوط غرناطة ، كلنا مسئولون (يحتضن أبو عبدالله فيبكيان بحرقة تحت أنغام أغنية صلاح العمر (داري الخطوب) ، و تحت أنغامها أيضاً تظهر دوائر ضوئية في الخشبة تظهر أبو عبدالله الصغير و هو

يسلم مفاتيح المدينة للملك فيرناندو ، و دائرة أخرى تظهر مع والدته و إبنه عبدالله و هما يغادران المدينة بإتجاه المنكب لأخذ خالته الثريا معهم الى المغرب الأقصى عبر مضيق جبل طارق للإقامة في عاصمتها فاس حيث يوجد فيها أملاك لهم هناك لكنها ترفض الإنضمام إليهما)

(تنزل الستارة)

المشهد السابع

المنظر الأول

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور أندلسي لأحد قصور أبو عبدالله الصغير في فاس المغربية و تحديدا قاعة الضيوف فيها حيث يجلس على كرسي تقليدي مكفت بالصدف الليفي مهموما كسير النفس يتأمل بضع صور بحوزته)

أبو عبدالله : لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا تركتموني لماذا ؟ لماذا ؟ (يقذف بالصور باكيا قبل أن تدخل والدته الى الخشبة و تراه على هذا الحال و الصور ملقاة و مبعثرة على الأرض فتقوم بلملمتها قدر ما تستطيع بعدما طار غرابها و تقدمت في السن)

عائشة (بعد أن رفعت الصور) : ماذا دهاك يا ولدي ؟! فيما حزنك و وجومك اللذان يملأن وجهك و جسدك هكذا على غير عادتك ؟!!!

أبو عبدالله : أنا حزين جداً .

عائشة : هه ، أهذه هي المشكلة ؟ (تجلس بقربه) ليست أول مرة تحزن فيها (تربت) فمنذ أن وصلنا إلى المغرب تاركين جذورنا و مسقط رأسنا في غرناطة و الحزن يغمرك دون توقف ، فما الجديد اليوم ؟

أبو عبدالله (يمسح دموعه) : لا جديد البتة ، إنه نفس الموضوع القديم ، الوحدة

يـــا أمـــي الوحـــدة ، أشـــعر بالضـــيق و الإكتئـــاب و أنـــا حبـــيس جـــدران قصـــري المخملـــي الـــذي يعتقـــد الـــداخل إليـــه إنـــه ملـــيء بالنـــاس مـــن كثـــرة الخـــدم و الوصـــيفات و الجـــواري و الحجـــاب و الأمـــراء و النـــبلاء الموجـــودين فيـــه ، و لكـــن مـــا إن تحتـــك معهـــم حتـــى تكتشـــف بـــأنهم القريـــب البعيـــد ، مـــا إن يرحلـــوا مـــن قصـــرك حتـــى تصـــبح فـــي طـــي النســـيان من وجهه نظرهم .

عائشـــة : لاتكـــن ســـخيفاً ، كيـــف تشـــعر بالوحـــدة و أنـــا و إبنـــك و زوجتـــك بثينـــة و حفيـــدك فارس بجوارك لا نفارقك دقيقة واحدة ؟ .....

أبو عبدالله (ينهض صارخا) : و ما الفائدة من ذلك يا أماه ما الفائدة ؟

عائشة : ما الفائدة ؟

أبـــو عبـــدالله : أجـــل مـــا الفائـــدة ؟ لقـــد خســـرت جميـــع أحبـــابي يـــا أمـــي مـــن قبـــل أن تطـــأ قـــدماي أرض المغـــرب و مـــن بعـــد (يضـــرب أصـــابعه يـــده بســـبابة يـــده الأخـــرى) جـــدي الســـلطان الكفيـــف الـــذي مـــات رهـــين المحبســـين و أبـــي الســـلطان الـــذي خلعتـــه مـــن العـــرش لأحـــل محلـــه و أخـــي الكبيـــر عمـــر و عمـــي الزغـــل الـــذي نافســـاني علـــى العـــرش و زوجتـــي الســـلطانة عاتكـــة و صـــديقي المـــاركيز ســـلفاتوريس الـــذي أغتيـــل علـــى يـــد جواســـيس خيمينـــيس و أعوانـــه لأنـــه وقـــف ضـــد إجراءاتـــه التعســـفية ضـــد ســـكان غرناطـــة و التـــي تخـــالف نصـــوص الوثيقـــة المبرمـــة بينـــي و بيـــنهم و أجبـــره علـــى إلغائهـــا ..... و مـــا زاد الطين بلة أنه ، أنه (يذرف الدمع دون أن يكمل) .

عائشـــة : أنـــه مـــاذا ؟ أكمـــل يـــا بنـــي أن زوجـــة أبيـــك الثريـــا قتلـــت علـــى يـــد أهلهـــا الإســـبان

دون رحمة أو شفقة لأنها تزوجت من غير ملتهم و قوميتهم ، أليس كذلك ؟ (لا يتمالك أبو عبدالله نفسه فينهار باكيا مرتميا في حضن والدته) لا عليك يا بني لا عليك ، أنت محق فيما قلته (تبدأ بالبكاء و هي تربت على كتفه) لقد كانت رحمها الله مثال للمرأة المسلمة الطيبة الخلوقة الطاهرة في مشاعرها و أحاسيسها تجاه الآخر ، لقد نست كل شيء إرتكبته بحقها من ظلم و إضطهاد و أحبتني حباً صافياً خال من الشوائب و الأحقاد و كأن شيئا لم يكن ، و حتى في إخلاصها للوطن الذي ولدت فيه حيث رفضت السفر معنا و أصرت على أن تعيش فيه حتى تدفن فيه ملتحفة ثراه الطاهر ، اهئ اهئ اهئ ، و تحقق لها ما كانت تبغيه ، رحمة الله عليك أيتها الغالية الطاهرة .

أبو عبدالله (ينهض من حضنها) : أنا السبب فيما حدث لها ، أنا السبب .

عائشة : الآن أدركت أنك السبب فيما حدث ؟ بعد ماذا ؟ بعد خراب البصرة ؟ بعدما وافقت على وثيقة الذل و الهوان لرعاة الخنزير الإسبان الكفار الذين لا يرعون لا عهدا و لا ذمة بحجة أن الأندلس ليست أرضنا و نحن غرباء عنها ؟ و بأي حق تصدر بحقنا هذا الحكم لا أدري ؟ .....

أبو عبدالله : كنت أعتقد بأني أعمل الصواب و لاسيما أن الناس لم يعترضوا على قراري هذا ، ثم كنت أعتقد إن الملكين فيرناندو و إيزابيلا سيلتزمان بالوثيقة حرفيا دون نقاش قبل أن أكتشف بأنهما سيغدران بنا لاحقا .....

عائشة : لأنك لم تفهم عدوك جيدا يا بني حتى تتهور في قرارك هذا (تشير إلى

الخلف بغضب) و الذي بموجبه سلمت غرناطة إلى مجموعة من الذئاب الجائعة تنتظر اللحظة الموآتية للإنقضاض عليها و إلتهام خرافها دون رحمة أو شفقة كما حدث للثريا ..... للأسف ، المسكينة كانت واحدة من ضحاياهم (أبو عبدالله يبكي) تبكي ؟ إبك ، إبك يا بني ، إبك ملكاً لم تحافظ عليه كالرجال .....

أبو عبدالله (يصرخ قاذفا بطاولة الشراب من أمامه) : أووه يا أمي ؟ ألا تكفين عن ترديد تلك العبارة على مسامعي دون توقف منذ مغادرتنا غرناطة إلى الآن ؟ لقد سئمت منها سئمت .

عائشة : أليست هذه الحقيقة المرة التي تلوذ بالفرار منها مرارا و تكرارا ؟

أبو عبدالله : كلا يا أماه ، إنها ليست الحقيقة ..... و لست الوحيد الذي يجب أن يبكي كالنساء ملكا لم أحافظ عليه كالرجال ، هناك الكثير من أمثالي ينطبق عليهم هذا الكلام .

عائشة : من تعني ؟

أبو عبدالله : سلاطين بنو الأحمر بمن فيهم والدك أحمد و أبي و أخي و عمي الزغل و جدي الذين خاضوا العديد من الحروب العائلية بينهم لم يحافظوا عليه كالرجال ، و من قبلهم الموحدين الذين خسروا معركة الحجارة أمام الإسبان عام ١١٨١م لم يحافظوا عليه كالرجال ، و من قبلهم المرابطين الذين لم يستطيعوا تحرير جل الأراضي الأندلسية المحتلة من قبل الإسبان آنذاك كطليطلة و سرقسطة مكتفين بإنتصارهم الساذج في الزلاقة ١٠٧٦م لإثبات وجودهم الإستعماري

للأندلس كأخ أكبر يتولى وصاية إخوته الصغار الذين لم يبلغوا سن الرشد من وجهة نظره هم أيضاً لم يحافظوا عليه كالرجال ، و من قبلهم ملوك الطوائف الذين يشنون حروباً طاحنة فيما بينهم بغية تقاسم أراضيها الضئيلة المساحة و الصراع حول بركتها الصغيرة التي تسمى بالأندلس أيضاً لم يحافظوا عليه كالرجال ، و من قبلهم الأمويين الذين تخلوا في عهد مؤسسهم عبدالرحمن الداخل عن برشلونة للإمبراطور شارلمان عام ٧٧٠م ليبدأ مع خلفائه من بني قومه عبر تلك الحادثة بداية دق نعشهم المبكر و دخولهم في حروب أهلية بينهم أيضاً لم يحافظوا عليه كالرجال ، و أخيرا الفاتحين و ما أدراك بالفاتحين ؟ الذين أخذونا من أراضينا الأصلية في اليمن و العراق و الحجاز و إيران و الشام و المغرب جنودا في جيوش الفتح حيث إنشغلوا بتقاسم غنائم فتحهم العظيم دون أن يطهروا الأرض التي من المفترض إنها ستكون موطننا الأصلي لأجيال و أجيال عديدة تحدرت من هذه الشعوب و القبائل من أعدائها المتربصين لها أقصد السكان الأصليين لهذه البلاد الإسبان هؤلاء أيضاً يا أمي لم يحافظوا عليه كالرجال (يضحك فيغضب) و لكنهم لم يبكوا كالنساء على ملكهم و أرضهم الضائعة على أيديهم ، أتعرفين لماذا يا أمي ؟

عائشة : لأنهم رجال و أكثر رجولة منك .

أبو عبدالله : لأنهم أكثر رجولة مني أم لأنهم بلا ضمير ؟

عائشة : بلا ضمير ؟!!

أبو عبدالله : أجل بلا ضمير أو حتى وازع منه (يدور حول أمه صارخا) بل إنهم

حتى لا يعترفون بأخطائهم القاتلة التي إرتكبوها بحق الأمة الأندلسية و التي أوصلتها الى الهاوية بل إستمروا في عتوهم و عدوانهم و إرتكابهم لأخطاء لا تقل خطراً عن سابقاتها دون مراعاة لمشاعر الناس و البلد و ظروفهما (يشير بيده) لأنهم يؤمنون بأن الغاية تبرر الوسيلة ، و أن القوة هي العدالة في جوهر السياسة التي لا تؤمن بالأخلاق و المبادئ النبيلة كما مازلنا نؤمن بها إلى حد الآن ، هذا هو الفرق بيني و بينهم ..... فرجاء يا أمي لا تحمليني مسئولية سقوط غرناطة على عاتقي في كل مرة تتحدثي فيها معي ، رجاء (يترك أمه واقفة جامدة في مكانها فيبدأ بالخروج من الخشبة)

عائشة : حتى و لو لم أحملك مسئولية سقوط غرناطة على عاتقك (يتوقف قبل أن يخرج) فان كتب التاريخ التي ستتحدث عن هذه الحادثة جيلا بعد جيل ستحملك مسئوليتها و تتهمك بخيانة وطنك لصالح الإسبان (تلتفت إليه جاحظة العينين و هو بدوره يتلفت نحوها بعينين عابستين ناعستين)

أبو عبدالله : لا يهم (موسيقى صاخبة)

(تنزل الستارة)

المنظر الثاني

(تفتح الستارة)

(نفس الديكور السابق في المنظر الأول ، و يظهر فيه أبو عبدالله على فراش المرض يحتضر و بجواره إبنه عبدالله و زوجته بثينة و حفيده فارس بعدما إشتد المرض عليه إثر وفاة والدته السلطانة عائشة قبل عام ثم يفيق بعد قليل)

أبو عبدالله : اأأين ؟ اأأأين اأأنا ؟

عبدالله : أنت بجوارنا يا أبي و بصحة جيدة (مشيرا بيده الى الأمام) هاهي زوجتي بثينة تحتضن حفيدتك الرضيعة الثريا ، و هذان هما ولداي عمر و الناصر .....

أبو عبدالله : قلت حفيدتي الثريا ؟ هل أسميتها على إسم جدتك الثانية يا بني ؟

عبدالله : بلى يا أبي ، لقد كنت تحبها كثيرا و تذكرها في صحوك و نومك ، إضافة إلى .....

أبو عبدالله : إضافة إلى إنها كانت تلاعبك عندما مرضت أمك عاتكة حيث واظبت على معاودتها حتى وفاتها ، أليس كذلك ؟

عبدالله : هووو ذاك يا أبي .

أبو عبدالله : و جدتك عائشة ؟ ماذا عنها ؟ لماذا لا تذكرها ؟ (يصمت عبدالله) إلى أنها فارقت الحياة و إنتقلت إلى جوار ربها لم تعد تذكرها بخير ؟

بثينة (بأدب جم) : أبتي ، زوجي لا يقصد ذلك ، لكنه لا يريد أن يزيد من أحزانك بتذكيرك بوفاة جدتي السلطانة عائشة .....

أبو عبدالله (مشيرا بيدها نحوها بصعوبة) : لا داعي للتبرير يا بنيتي (ناحية إبنه) لا داعي للصمت يا بني ، فكلاكما محق في دوافعكم (يبكي) فأنا السبب في وفاتها حتى تلك اللحظة .

عبدالله : أبي ، لا تقل هذا .....

أبو عبدالله : لا لا يا بني ، إنها الحقيقة ..... لقد حرمتها من نعمة الموت في مسقط رأسها ، فلقد ماتت في المغرب غريبة مسكينة تثير شفقة من يراها من الزائرين على الرغم من أنها أقامت معززة مكرمة في قصر يفوق ما لدي بني مرين من قصور و ضياع يملكونها بطول البلاد و عرضها ، و مع ذلك عاشت في تعاسة و هم يفوق الحدود حتى فارقت الحياة دون أن تعفو عني أو تسامحني و لاسيما أنها كان من الممكن أن يضحى مصيرها كمصير ضرتها الثريا رحمة الله عليهما (يبكي))

عبدالله : لكنك لست المسئول عما حدث لغرناطة يا أبي ، أنت أخبرتني بذلك ...

أبو عبدالله : لم يعد يجدي ذلك الكلام بشيء يا بني (يكح و يسعل) لقد سبق السيف العذل ..... فمن الغريب أنني فعلا لست المسئول الوحيد عن سقوط غرناطة أو الأندلس كافة ، و الأغرب أن غرناطة من سوء حظي سقطت دون قتال علي يدي (يضحك) و الأكثر غرابة أن الذي أسقطها من أصل يمني (يبكي) و

يا للمصادفة ، اليمنيون الذين فتحوا الأندلس على يد طارق بن زياد المنتمي إلى البربر أو الأمازيغ القادمين من موطنهم الأصلي بحضرموت و قائده موسى بن نصير و ولده عبدالعزيز تسقط بقبضة الإسبان بواسطتهم عبر أسرة بنو الأحمر النصريين سليلو الخزرج أخوال جد رسولنا الكريم (ص) عبدالمطلب بن هاشم (يبكي و يسعل)

بثينة : أبتي ، لا تجهد نفسك .....

أبو عبدالله : حسبك يا بنيتي و دعيني أكمل كلامي قبل ..... هيه هيه ..... قبل أن ألقى أمي و أزورها بعد قليل .....

عبدالله (يذرف الدمع صارخا) : لا تقل هذا يا أبي أرجوك .....

أبو عبدالله : أصمت و لا تقاطعني أرجوك ، لأنك لا تستطيع إيقاف الحق من ولوج قلبي و جسدي الفاني ، لكن أستطيع أن أحمي غيري من قدره المحتوم و أنت يا بني و زوجتك و حفيداي من بينهم ، لذا إسمعاني جيدا و أنا أتلو وصيتي عليكما ..... (يحاولان الكلام) و بدون مقاطعة ، مفهوم ؟

عبدالله و بثينة : مفهوم .

أبو عبدالله : أوصيكما بعد رحيلي إلى رفيقي الأعلى أن ترحلا من فاس إلى غرناطة و بلا تأخير .

بثينة : إلى غرناطة ؟!

أبو عبدالله : أجل .

عبدالله : لماذا ؟!

أبو عبدالله : لأنها بلادكم الأصلية و موطن أجدادكم سكنوا فيها جيلا إثر جيل .

عبدالله : هذا مستحيل يا أبي ، هل نسيت أن ملك إسبانيا الجديد كارل الخامس أصدر قرارات إلزامية بطرد الأندلسيين من وطنهم منذ توليه السلطة عام ١٥١٩م ؟ و بعد تهجير القليل منهم خلال رحلة كريستوفر كولمبس عام ١٤٩٢م إضافة إلى منع أي شخص منهم بالعودة الى وطنه و لاسيما بعد إنشاء محاكم التفتيش هناك لإجبار من تبقى منهم على ترك الإسلام أو اليهودية أو المسيحية البروتستانتية و الأرثوذكسية لصالح المسيحية الكاثوليكية و إلا كان مصيرهم و عائلاتهم الموت حرقاً ؟ .....

أبو عبدالله (يصرخ في وجهه) : أو لا يستحق وطنك أن تضحي و عائلتك بأرواحكم من أجله ؟! (يكح) بني ، لا تكرر نفس الخطأ الفادح الذي إرتكبته من قبل عندما تخلينا عن وطننا تفترسها الذئاب الإسبانية دون أن نحميها أو نضحي بحياتنا من أجلها ..... هه هه (عبدالله و زوجته و ولدهما يلتفون حوله) هذا السبب الذي يجعلنا نحب الأندلس ، و هو هه و هو ، إلى حد أن نعتبرها أمنا و عائلتنا الوحيدة بملء إرادتنا ، كن مثل جدتك الثريا التي أحبت كل شيء فيها ، ترابها ..... أنهارها ..... جبالها ..... بحارها ..... دون أن تحقد على أي فرد لا ينتمي إلى دينها أو قومها أو حتى أذاها و أذاقها الذل و الهوان كأهلها الذين

قتلوها و مثلوا بجثتها لمجرد أنها تزوجت بأمير أندلسي مسلم هو جدك علي بن سعد بن الأحمر ..... (يفارق الحياة تحت وقع موسيقى صاخبة و صراخ إبنه عبدالله و زوجته ثم يعقبها موسيقى أغنية صلاح العمر (قفا نبكي))

(تنزل الستارة)

المشهد الثامن

(تفتح الستارة)

(ديكور جنة العريف بقصر الحمراء و يظهر فيه مواطن إسباني و إسمه خليل كاستيليو و زوجته ماريا ديلا خويا التي كانت تتأمل الأول بإستغراب و هو ينظر الى الكتابة العربية المنقوشة على الحائط بالخط المغربي التقليدي)

ماريا : خليل .... خليل .... (تحرك ذراعه الأيسر) عزيزي !

خليل : هه ، هل هناك خطب ما ؟

ماريا : خطب ما ؟ لقد مرت ساعة و أنت تتلهم بنظراتك الشغوفة هذه النقوش و الزخارف التي أمامنا ، ما الذي يدفعك إلى تأملها كل هذا الإهتمام الزائد ؟!

خليل : ألا يحق لي أن أتأمل بمنتهى الإعجاب ما صنعه جدي أبو عبدالله محمد بن علي بن الأحمر ؟ (يربت كتفها) أنظري الى هذه العبارة المكتوبة الى اليمين (مشيرا بيده نحوها) لا غالب إلا الله ، أليست جميلة ؟

ماريا : نعم يا عزيزي ، أنها جميلة لدرجة أنها دفعته الى إهمال الدفاع عن غرناطة و حمايتها من الأعداء .

خليل (غاضباً) : ماريا ؟!! عدنا الى هذا الحديث السخيف مجددا ؟!!!

ماريا : معك حق يا عزيزي ، ما كان على أن أذكره أمامك و أجرح مشاعرك بشان جدك ، أنا آسفة .....

خليل (يمسك بذراعيها) : بل أنا الأسف على إنفعالي عليك فأنت لم تقولي سوى الحقيقة المرة التي أخجل من نفسي عن ذكرها ، و هي أن جدي خسر أمام جدك الملك المنتصر فيرناندو الذي أجبره على الرحيل من وطنه الأندلس و لطخ بهذه الهزيمة سمعة عائلتنا بالعار .....

ماريا : خليل ؟!! إياك أن تخجل من جدك البتة ، و لذا عندما أقول لك بأني آسفه على كلامي الساخر منه فلأني لم أعِ عظمته بتاتاً .

خليل : عظمته ؟!!! فيما ؟!!! هل تمزحين معي ؟!!! لقد خسر أمام جدك في القتال و تخلى عن غرناطة بمنتهى السهولة .....

ماريا : لكنه خسر و هزم بشرف و شجاعة نادرة ، يكفي يا عزيزي بأن جدي لم يتمكن من هزيمته عسكريا بل إستولى على غرناطة عبر صفقة سياسية مخجلة رتبها مع جدتي إيزابيلا ليعرضها على جدك ، كتب المؤرخين و الأكاديميين الإسبان تؤكد ذلك .

خليل : و ما الجدوى من ذلك ؟ فالناس لا يرون سوى جدك المنتصر و أمجاده التي حققها خلال حرب الإسترداد المقدسة .

ماريا : و منذ متى يا عزيزي كنا نأخذ كلام الناس على محمل الجد ؟ حتى عندما تزوجنا لم نبالِ بهم .

خليل (يبتسم) : أنت محقة ، و إلا فمن كان يصدق بأن حفيد أبو عبدالله الصغير المهزوم يتزوج بحفيدة فيرناندو المنتصر الرائعة الجمال و المتقدة الذكاء ؟

ماريا : بل قل من كان يصدق بأن أندلسي مسلم يتزوج بغاليسية مسيحية ؟

خليل : دعك من هذه الأمور ، فالدين أو القومية أو العرق أمور ثانوية لا تصبح أساسية إلا في حالة الإستغلال السياسي الغير برئ لها ، سيما و أن الأمور قد تغيرت الآن في إسبانيا ، و لأول مرة يصل أول أندلسي الى سدة الحكم كفيليب غونزاليز بعد الإعتراف بالقومية الأندلسية منتصف السبعينات و يتم الإعتراف بالإسلام و اليهودية كدينين رسميين في ١٩٨٠م و تصبح نسبة المسلمين و المسيحيين متساوية في ٢٠٠٢م .....

ماريا : و هذا جعل السيدة ماريا ديلا خويا تتزوج من السيد خليل عبدالصمد كاستيليو دو غرانادا .....

خليل : و أما رائعة لأجمل ولدين في حياتنا هما ..... محمد و الثريا (يضحكان فيدخل ولديهما الى الخشبة مناديان لهما)

محمد و الثريا : بابا ، ماما (يحتضنهما والدهما)

ماريا : إنتبها جيدا .

خليل : دعيهما يا أم محمد ، فهجومهما الصاعق نحوي أخف علي من الدنيا و ما فيها .

ماريا : كما تشاء .

خليل : قلي يا محمد ، هل تعرف من بنى هذا القصر ؟ و أين يقع ؟

محمـــد : بنـــاه جـــدي أبـــو عبـــدالله محمـــد بـــن علـــي بـــن الأحمـــر النصـــري الخزرجـــي اليمنـــي و يقع في غرناطة .

خليـــل : هـــا هـــا هـــا ، رائـــع ..... و أنـــت يـــا ثريـــا هـــل تعـــرفين مـــاذا تعنـــي غرناطـــة و بـــأي لغة ؟

الثريـــا : غرناطـــة كلمـــة أندلســـية إســـبانية تعنـــي الرمـــان لأنهـــا أرض خضـــراء عـــامرة بالفواكـــه .....

خليـــل : أحســـنتما ، و تقـــديرا منـــي لكمـــا علـــى ذكائكمـــا ســـأدعوكما علـــى أفضـــل مطعـــم بيتـــزا فـــي المدينـــة و علـــى حســـابي (فيفـــرح الولـــدان و زوجتـــه بـــذلك العـــرض و يخرجـــوا جميعا من الخشبة تحت وقع أنغام موسيقى أغنية فيروز (جادك الغيث))

(تنزل الستارة)

(تنتهي المسرحية)

شخصيات المسرحية

أبو عبدالله الصغير : آخر سلاطين بني الأحمر في غرناطة

إيزابيلا : و بعد إسلامها عرفت بالثريا ، خطيبة أبو عبدالله الصغير السابقة و زوجة والده السلطان علي بن سعد و المعروف لدى الإسبان بمولاي حسن

عائشة : والدة أبو عبدالله الصغير و زوجة السلطان علي بن سعد الأولى و إبنة عمه

مفتي السلطنة : شيخ الإسلام في السلطنة النصرية منذ عهد السلطان سعد بن عبدالله جد أبو عبدالله الصغير

عاتكة : زوجة أبو عبدالله الصغير و أم إبنه عبدالله

الملك فيرناندو : ملك أراغون و عدو أبو عبدالله الصغير اللدود و على يده سقطت غرناطة و الوجود الإسلامي في إسبانيا قاطبة .

الملكة إيزابيلا : ملكة قشتالة حليفة مملكة أراغون و زوجة الملك فيرناندو و شقيقة ملك قشتالة الراحل هنري الرابع

شيخ عبدالقادر : شيخ طائفة تجار الأقمشة أو البيازين في غرناطة

الوليد و صالح : من تجار غرناطة

عمار : شيخ اليمنية في غرناطة

يزيد : شيخ القيسية في غرناطة

عبدون : شيخ البربر في غرناطة

صارم : شيخ الصقالبة في غرناطة

الشيخ زيري : أحد علماء غرناطة

الأسقف تلافيرا : رئيس الطائفة المسيحية في غرناطة

الحاخام يشوع بن ميمون : رئيس الطائفة اليهودية في غرناطة

موسى بن أبي الغسان : قائد الجيش في عهد السلطان أبو عبدالله الصغير

عبدالله : إبن أبو عبدالله الصغير

بثينة : زوجة عبدالله

خيمينيس : وزير الملكة إيزابيلا و رئيس الكنيسة القشتالية في عهدها

أبو الطيب المجريطي : مبعوث أبو عبدالله الصغير الى الملك فيرناندو

غونزاليز : مرافق الملك فيرناندو

المـــاركيز أدولفـــو ســـلفاتوريس : مستشـــار الملـــك فيرنانـــدو السياســـي و قائـــد جـــيش مملكة أراغون النظامي

خليل كاستيليو : حفيد السلطان أبو عبدالله الصغير و زوج ماريا

ماريا ديلا خويا : حفيدة الملكين فيرناندو و إيزابيلا و زوجة خليل

محمد و الثريا : أولاد خليل و ماريا

المؤلف في سطور :

- من مواليد صنعاء – الجمهورية اليمنية – عام ١٩٧٩م
- ماجستير في التاريخ القديم – جامعة صنعاء – عام ٢٠١٤م
- من مؤلفاته :

١- النمر الأصفر (رواية) – ٢٠٢٠م

٢- أشواك القلب (مسرحية) – ٢٠٢٠م

٣- قارعة الطريق (مسرحية) – ٢٠٢١م

٤- غابة الألوان (مسرحية) – ٢٠٢١م

٥- العلاقات التجارية بين اليمن و الحبشة في القرن السادس الميلادي (٥٢٥-٥٧٥م) (تاريخ) – ٢٠٢٢م

٦- علي الغرناطي (رواية) – ٢٠٢٢م

٧- لديه العديد من القصص و القصائد الشعرية و الأبحاث و المقالات التاريخية و الثقافية و الأدبية المنشورة في صحف و مجلات الثقافية و الثورة و الوحدة و الوسط و معين و ٢٦ سبتمبر (٢٠٠٨-٢٠١٦م) .